شبكة الألوكة
www.alukah.net

مخطوطات جامع عنيزة

مخطوطة (١٢٦)

شرح توحيد الأنبياء من نونية ابن القيم لابن سعدي، تام ١٠٣ق

ملاحظات

كتب بمكة سنة ١٣٦٥، منقول عن نسخة المصنف
وبآخره خط ابن سعدي

هذا

كتاب شرح توحيد الانبياء والمرسلين

من الكافية الشافية من تأليف

عبد الرحمن الناصر السعدي

غفر الله له ولوالديه

ولجميع المسلمين

امين

م

مكة المكرمة في ٢٤ ربيع الثاني

سنة ١٣٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نتوكل قال رحمه الله تعالى

الحمد لله العظيم الكبير الحميد المجيد الذي له الالوهية وصفا كما كانت

العبودية وصفا للعبيد الموصوف بالاوصاف الكاملة العليا المدعو

بالاسماء الحميدة الحسنى الذي له كل كمال وجلال وجمال

ولديه كل احسان ونعمة وافضال الذي خلق الخلق وادر عليهم

واسع الرزق ليقوموا بتوحيده ومحبته وعبادته فيثبهم ويتم عليهم

نعمته باصناف كرامته احمده على ماله من وصف عظيم واحسان

جسيم وبر وتكريم واشهد انه لا اله حقا الذي دل على توحيده جميع

أدلة العقل والنقل واذعن لعبوديته اهل الكمال والفضل واشهد

ان محمدا عبده ورسوله افضل العارفين واجل الموحدين وواسطة

عقد نظام الانبياء والمرسلين وهو الامام الكامل لجميع العابدين

صلى الله عليه وعلى اله وصحبه اجمعين اما بعد فان الله خلق

الخلق لعبادته واوجدهم للقيام بمعرفته ومحبته وبين لهم في كتبه

المنزلة من السماء وعلى السنة رسله تبيينا كافيا واوضح لهم جميع الطرق

الموصلة

الموصلة الى هذه الغاية الفاضلة توضيحا وافيا خصوصا في القرآن

العظيم وعلى لسان محمد النبي الكريم فان في القرآن والسنة تفاصيل

معرفة الله باسمائه وصفاته وتوحيده ما ليس في غيرهما فتعين على

العباد الاقبال عليهما والتدبر والتفكر فيهما اذ لا سبيل لهم الى معرفة ما

ما خلقوا له الا بمعرفتهما ولا طريق لهم الى الوصول الى ربهم والى دار

كرامته الا بالقيام بحقهما ولما كان الباري تعالى قد امتن على هذه

الامة بعلماء ربانيين وفضلاء متقنين قد بذلوا نفائس اعمارهم

واعملوا جواهر افكارهم في استخراج كنوز الوحي ومعانيه وحل الفاظه

المعصومة ومبانيه فحصل لهم به علم كثير وفضل غزير وصاروا الهداة

الامة الائمة واقتدى بهديهم وسيرتهم وطريقتهم جميع اصناف الامة

وممن له في هذا الشان القدم العليا والقدح المعلى والباع الاعلى الامامان

والحافظان الثقتان شيخ الاسلام تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم

ابن تيمية والامام ابو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية قدس

الله ارواحهما فانه قد حصل لهما من العلم والفهم للكتاب والسنة واستخراج

علومهما ما فاقا فيه كبار العلماء وسبقا الجهابذة النبلاء خصوصا علم

التوحيد والعقائد السلفية فان الله من على المسلمين بهما وبينا لهم من ذلك
مالم يبينه احد ونظر امذهب اهل السنة والحق نصرا عظيما ودحضا مذاهب
الضالين والمبتدعين فصنفا فى ذلك المصنفات التى سارت فى مشارق الارض
ومغاربها وانتفع بها الموافق والمخالف ومعرفة كتبهما والوقوف عليها فيه كفاية
لمعرفة اقدارهما وعلو مراتبهما ولما كانت الكافية الشافية لشمس الدين ابن
القيم قد اشتملت على مالم يشتمل عليه كتاب فى فن التوحيد والعقائد والاصول
واحتوت على تفاصيل كثيرة لا توجد فى سائر الكتب حتى كتب مؤلفها وكان
قد تكرر على الطلب من بعض الاصحاب فى وضع تعليق عليها فرايت ذلك من
الامور المتعسرة على لانه يستدعى وقتا كثيرا ويشغلنى عما هو اهم عندى منه
ثم استخرت الله تعالى على وضع شرح لطيف على توحيد الانبياء والمرسلين
منها ومتعلقاته اذ هو اهم ما فيها واحسنه والحاجة بل الضرورة ماسة
الى معرفته وربما كان الاقتصار عليه اولى وانفع من السعى فى شرح جميعها
لامور كثيرة واكثرت فيه من النقل لعبارات المؤلف فى كتبه التى فيها
ايضاح وتبيين يعين على فهمها لانه احسن ما يشرح كلامه بكلامه فجاء
بحمد الله كتابا وافيا بمقصوده محتويا على جواهر ونفائس علم التوحيد الذى

هو

هو اشرف العلوم على الاطلاق واسأله تعالى ان يجعله خالصا لوجهه الكريم
وان ينفع به النفع العميم انه جواد كريم رؤف رحيم وما توفيقى الا بالله عليه
توكلت واليه انيب

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

فى بيان توحيد الانبياء والمرسلين ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمعطلين

وهذا التوحيد هو التوحيد على الحقيقة الذى لا يستحق هذا
الاسم غيره وهو التوحيد الوحيد الذى بعث الله به رسله وانزل به كتبه
واقام الادلة والبراهين على صحته وتعيينه طريقا للنجاة وانه لا خير ولا سرور
ولا سعادة فى الدنيا والاخرة الا بسببه وهو الذى اعد الله لاهله ومن قام
به انواع الكرامات ولمن لم يقم به انواع العقوبات وهو الذى عليه المدار
والاساس لجميع الاعمال فكل عمل غير مبنى على التوحيد فهو باطل مضمحل وكل
بناء مبنى على غيره فهو بناء على شفا جرف هار وهو التوحيد الذى عليه خيار
الخلق واكملهم عقولا واراء واجمعهم للمحاسن وهم الانبياء والمرسلون
ومن تبعهم ونبذه ورده كل ملحد ومعطل ممن مرجت اديانهم وفسدت

عقولهم واكتسبوا شر الاخلاق وعطلت قلوبهم من معرفته ومحبته والمستهم من
ذكره وجوارحهم من طاعته ممن خالفوا الانبياء والمرسلين فى توحيدهم وطريقهم
فى الدليل والمدلول فتوحيد الانبياء والمرسلين مشتمل على الحق والصدق المزكى
للنفوس المطهر للاخلاق ودليله كل دليل عقلى صريح وكل دليل نقلى صحيح
وتوحيد الملاحدة والمعطلين مشتمل على ابطل الباطل مؤيد بالشبه التى
لا تسمن ولا تغنى من جوع وهى على جهل اهلها وفساد عقولهم وافهامهم
من اكبر الادلة ولهذا قال المصنف :

فاسمع اذا توحيد رسل الله ثم * ما جعله دائما كفة للميزان
مع هذه الانواع وانظر بها * اولى لدى الميزان بالرجحان

وهذا لان الشيء يعرف بضده والحق يتضح ويبين بمعرفة الباطل فانك
اذا وزنت بميزان العقل الحقيقى والفطرة الاولى التى لم تغير والقواطع
الدالة على الحقائق توحيد الانبياء والمرسلين وتوحيد غيرهم وجدت من
الفروق ما لا يخفى على من له ادنى مسكة من عقل وكيف يوزن توحيد
المعطلين والملحدين المشتمل على مسبة رب العالمين ووصفه بكل صفة
ناقصة ونفى حقائق اوصافه الكاملة والافتراء عليه وعلى رسله وكتبه

وجعل

وجعل المخلوق الناقص من جميع الوجوه مساويا للخالق الكامل من جميع
الوجوه بتوحيد الانبياء والمرسلين المشتمل على تعظيم رب العالمين وتقديسه
والثناء عليه باكمل الثناء ووصفه بكل صفة كمال وتنزيهه عن التمثيل
والتشبيه ومشاركة احد من المخلوقات فى خصائص صفاته المقدسة
وكيف يوزن توحيد يرقى بمن قام به الى اعلى عليين بتوحيد ينزل
صاحبه الى اسفل سافلين امكيف يوزن توحيد يجعل من اتصف به
هاديا مهديا وطاهرا مرضيا بتوحيد يكسب اهله الضلال والاضلال
وارذل الخصال والشقاء الابدى والعذاب السرمدى

توحيدهم نوعان قولى وفعلى * كلاهما فيه ذو برهان

يعنى ان توحيد الانبياء والمرسلين ينقسم قسمين احدهما التوحيد
الفعلى وهو اقرار العبد لله بالمحبة والذل وسائر العبادات والتقربات وياتى
فى آخر هذه الفصول وهو المعبر عنه بتوحيد العبادة وبتوحيد الالهية
وسمى توحيدا فعليا لانه يتضمن لافعال القلوب والجوارح فهو توحيد العبد
بافعاله وان لا يتخذ له شريك ولا اندادا والثانى التوحيد
القولى المشتمل على اقوال القلوب وهو اعترافها واعتقادها وعلى اقوال

اللسان والثناء على الله به وهذا النوع هو توحيد الاسماء والصفات
الذى يدخل فيه توحيد الربوبية فكل واحد من النوعين له براهين
وادلة عقلية ونقلية فبدأ المصنف رحمه الله تعالى بالتوحيد القولى
فقال

فالاول القولى ذو نوعين ايضا فى كتاب الله موجودان
احدهما سلبى ونوعان ايضا فيه مذكوران
سلب النقائص والعيوب ينجيها عنه هما نوعان معقولان

يعنى ان التوحيد القولى على نوعين موجودين فى كتاب الله احدهما
سلب اى نفى النقائص والعيوب عن الله والثانى اثبات الصفات
الكاملة كما سياتى ان شاء الله وبدأ بالسلب لانه وسيلة ومقصود
لغيره فان المقصود اثبات صفات المدح والحمد وكلما نفاه الله عن
او نفاه عنه رسوله من النقائص فانه متضمن للمدح والثناء بضد ذلك
النقص من الاوصاف الحميدة والافعال الرشيدة وهذا السلب على قسمين ذكرهما
المصنف بقوله

سلب لمتصل ومنفصل هما * نوعان معروفان اما الثانى

سلب

سلب لشرك مع الظهير مع الشفيع * بدون اذن لمالك الديان
وكذلك سلب الزوج والولد الذى * نسبوا اليه عابدوا الصلبان
وكذلك نفى الكفو ايضا والولى * لنا سوى الرحمن ذى الغفران

يعنى ان ما ينزه الله عنه من النقص ويسلب عنه من العيوب نوعان سلب
لمتصل وضابطه نفى ما يناقض ما وصف به نفسه او وصفه به رسوله كما
سياتى وسلب لمنفصل وضابطه تنزيه رب العالمين ان يشاركه احد
من الخلق فى خصائصه التى لا تكون لغيره وذلك كنفى الشريك فانه
متفرد بالملك والقدرة والتدبير فليس له شريك فى الملك وليس له ايضا ظهير
اى عوين يعاونه على خلق شىء من المخلوقات او تدبيرها لكمال قدرته وسعة
علمه ونفوذ مشيئته وعجز المخلوقين وعدم حولهم وقوتهم الا بالله فالشريك
والظهير منفيان عنه مطلقا واما الشفيع فانه ينفى عنه ان يشفع احد عنده
على وجه يكون نقصا فى حق الله كان يشفع عنده احد بغير اذنه كما يشفع الوزراء
عند الملوك والسلاطين واما الشفاعة عنده باذنه فانها ثابتة كما اثبتها الله
فى عدة مواضع من كتابه وذلك لانها دالة على كمال رحمته تعالى وعموم احسانه
فانها من رحمته بالشافع والمشفوع له فالشافع ينال بها الاجر والثناء من

من الله ومن خلقه والمشفوع له يرحمه الله على يد من امره بالشفاعة
فيه ومع هذا فلا يأذن لاحد بالشفاعة الا فيمن ارتضى قوله وعمله وهو من
كان مخلصا متابعا للرسول قال تعالى نافيا هذه المراتب الثلاث الملك
والشركة فيه والعون له والشفاعة بغير اذنه عز كل من عبد من دونه من
اهل السماء واهل الارض (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم
من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له) فقطع في هذه
الاية كل سبب يتوهم به المشركون لدعوة غيره وان من كان بهذا الوصف
لا ملك له بوجه من الوجوه ولا شركة في الملك ولا معاونة ومظاهرة فيه
وليس له شفاعة بدون اذن الله لا يستحق من العبادة مثقال ذرة لا
وكذلك يسلب وينفى عن الله الزوجة والولد الذى نسبه اليه عباد
الصلبان وهم النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وكذلك نسبه
اليه عباد الاصنام حيث قالوا الملائكة بنات الله فكذب الله كل من
اثبت له زوجة او ولدا فقال (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) وقال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما

كان معه من اله) وقال تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين
وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون) وقال تعالى (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك
قولهم بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون)
وقال تعالى (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) وقال
تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير
علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم
تكن له صاحبة) الى غير ذلك من الايات النافيات عن الله ان يتخذ
صاحبة او ولدا لانه الواحد الاحد الفرد الصمد الغنى الذى لا يحتاج الى احد
من خلقه بوجه من الوجوه ولانه المالك لكل شيء وكل الخلق مملوكون فقراء
اليه فمن كان كذلك فمن اين يتخذ الصاحبة او الولد تعالى الله عما يقوله
الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من
فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا ونسبوا اليه عابد الصلبان هذا على

لغة من يلحق الفعل المسند الى الظاهر علامة التثنية والجمع وهي لغة ضعيفة
تحمل عليها الضرورة واللغة الفصحى ان يفرد الفعل المسند الى الظاهر فيقال
نسب اليه عابد الصليبان وقوله وكذلك نفى الكفؤ ايضا يتعين ان ينفى
عن الله الكفؤ الذى نفاه عن نفسه فى قوله ولم يكن له كفوا احد هل تعلم
له سميا فلا تجعلوا لله اندادا ليس كمثله شئ فليس احد من الخلق مكافيا
لله اى مساويا له فى الذات ولا فى الصفات ولا فى الافعال فهو الخالق الكامل
من كل وجه وسواه مخلوق ناقص ان لم يكمله ربه بكماله اللائق به فليس احد
له صفات تقارب صفات الله اوله افعال تشبه افعال الله بل ليس لاحد
من الخلق استقلال بفعل شئ اصلا حتى يعينه الله على افعاله ولهذا
كانت افعال العباد تابعة لمشيئته فما تشاؤن الا ان يشاء الله
رب العالمين والله خلقكم وما تعملون وكذلك مما ينفى عن الله ان يكون
لنا ولى من دونه يحصل لنا المطالب الدينية والدنيوية او يدفع عنا مضار
الدين والدنيا بل ليس ولى الا هو الذى تولى خلقنا وتدبير وتربيتنا
العامة والخاصة فالولاية العامة ولاية الخلق والتدبير الشاملة للبر
والفاجر قال تعالى ما لكم من دونه من ولى ولا نصير والولاية

الخاصة هى ولايته للذين آمنوا وكانوا يتقون يخرجهم من ظلمات الجهل
والكفر والمعاصى الى نور العلم والايمان والطاعة قال تعالى الا ان اولياء
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون وقال
الله ولى الذين آمنوا وكذلك لا يتخذ احدا من خلقه وليا من الذل
لكمال اقتداره وعظمته بل يتخذ منهم اولياء رحمة بهم واحسانا منه
اليهم ويحبهم ويحبونه والحاصل انه ليس احد من الخلق مساويا لرب
العالمين او مماثلا او عونا او وزيرا بوجه من الوجوه

والاول التنزيه للرحمن عن وصف العيوب وكل ذى نقصان
كالموت والاعياء والتعب الذى ينفى اقتدار الخالق اللايزال
والنوم والسنة التى هى اصله ومزوج شئ عنه فى الاكوان

هذا القسم الاول من قسمى السلب المنفى عن الله وهو التنزيه لله من
ان يتصف بعيب او نقص ينافى كمال اوصافه فهو موصوف بكل صفة
كمال منزه عن ضدها وعن نقصها فهو موصوف بكمال القدرة منزه عن
ما يضادها من الموت والاعياء والتعب واللغوب فانه لو كان موصوفا
بشئ من ذلك لكان ناقص القدرة قال تعالى وتوكل على الحى الذى

لايموت وقال تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام
وما مسنا من لغوب وهو تعالى موصوف بالحياة الكاملة التامة منزه
عن مايضادها من النوم والنعاس الذى هو اصل النوم قال تعالى
الله لا اله الا الله هو الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم وقال النبى صلى الله
عليه وسلم فى الحديث الصحيح ان الله لا ينام ولا ينبغى له ان ينام
وكذلك هو موصوف بالعلم المحيط بكل شئ يعلم ما فى السموات والارض
ويعلم ما يسرون وما يعلنون وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى
ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ومنزه عن كل ما
ينافى ذلك فلا يعزب اى يغيب عن علمه وبصره وسمعه شئ فى السموت
والارض قال تعالى ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء وقال
تعالى عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر
من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين

وكذلك البعث الذى تنفيه حكمته وحمد الله ذى الاتقان
وكذلك ترك الخلق هملا سدى لا يبعثون الى معاد ثان
كلا ولا امر ولا نهى عليهم من الرقادر ديان

اى وكذلك ينزه الله عن العبث فى الخلق والامر وانه خلق شيئا عبثا وباطلا
او شرع شيئا عبثا لانه حكيم حميد فمن تمام حكمته وحمده اتقان المخلوقات
واحكامها واحسان المامورات على اكمل وجه واتمه وهذا امر مشهود فى الخلق
والامر تحير حكمته الالباب ويستدل بما بان من الحكمة فيها على ما خفى على العباد
ومن تمام الحكمة انه لم يخلق الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون ولا يثابون ولا يعاقبون
على تلك الاوامر والنواهى بالبعث بعد الموت فالحكمة والحمد دالان على انه خلق
المكلفين لينفذ فيهم احكامه الشرعية ثم بعد ذلك يبعثهم بعد موتهم الى دار
تجرى فيهم احكام الجزاء والثواب والعقاب قال تعالى افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك اى عن هذا الظن والحسبان
لانه لا يليق بجلاله وقال تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة
من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى الاية فالذى نقله فى هذه الاطوار لا يليق به
ان يتركه مهملا وسدى لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب قال تعالى ان الذى
فرض عليك القرآن لرادك الى معاد

وكذلك ظلم عباده وهو الغنى * فماله والظلم للانسان

اى وكذلك ينزه الله تعالى عن الظلم للعباد بان يزيد سيئاتهم او ينقص من

من حسناتهم او يعاقبهم على ما لم يفعلوا فان الظلم لا يفعله الا من هو محتاج
اليه او من هو موصوف بالجور واما الله تعالى الغني عن خلقه من جميع الوجوه
العادل الحميد فماله وظلم العباد قال تعالى وما ربك بظلام للعبيد وقال
تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه
اجرا عظيما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وقال
تعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا عبادي اني حرمت الظلم على
نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا رواه مسلم من حديث ابي ذر
رضي الله عنه

وكذلك غفلته تعالى وهو * سلام الغيوب فظاهر البطلان
وكذلك النسيان جل الهنا * لا يقتربه قط من نسيان
وكذلك صباحته الى طعم ورز * ق وهو رزاق بلا حسبان

اي وكذلك ننزه الله تعالى عن الغفلة والنسيان لانه عالم الغيب والشهادة
وعلمه محيط لا يعزب له ما يعرض لعلم غيره من خفاء بعض المعلومات
او نسيانها او الذهول عنها كما قال تعالى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل
ربي ولا ينسى وكذلك ننزه تعالى عن احتياجه الى الطعام والرزق لانه

تعالى

تعالى هو الرزاق لجميع الخلق الغني عنهم وكلهم فقراء اليه محتاجون اليه قال
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد
ان يطعمون وقال تعالى وهو يطعم ولا يطعم

هذا وثاني نوعي السلب الذي * هو أول الانواع في الميزان
تنزيه اوصاف الكمال له عن * تشبيه والتمثيل والنكران
لسنا نشبه وصفه بصفاتنا * ان المشبه عابد الاوثان
كلا ولا نخليه من اوصافه * ان المعطل عابد البهتان
من مثل الله العظيم بخلقه * فهو النسيب لمشرك نصران
او عطل الرحمن عن اوصافه * فهو الكفور وليس ذا ايمان

هذا النوع الثاني من نوعي السلب الذي ينزه الله عنه الذي هو أول
النوعين الثبوتي والسلبي في الميزان اي في هذه القصيدة وتقدم النوع الاول
من قسمي السلب وهو السلب المتصل والمنفصل المتضمن لتنزيهه عن
النقائص والعيوب وعن مشاركة احد من الخلق له في صفاته الخاصة به
وعن ما ينافي كماله وهذا النوع يرجع الى حفظ كماله ونعوت جلاله عن
تشبيهها بصفات الخلق فلا يقال علم الله أو قدرته كعلم الخلق او قدرهم او رحمته

كرحمتهم خلقه ونحو ذلك فان هذا كله تشبيه لله بالخلق ومن كان بهذه
الحال فانه يمثل بفكره صنما ووثنا يعبده كما فعل النصارى بالمسيح بن مريم
جعلوه الههم ومعبودهم فالمشبه نسيب ومشبه للنصراني ورب
للعالمين فوق ما يظنون واعلى مما يتوهمون فانه كما ان ذاته لا تشبهها
ذوات المخلوقين فصفاته لا تشبهها صفاتهم وعن تعطيل صفاته
ونفيها كما فعلته الجهمية المعطلة ومن تبعهم من المتكلمين فان ذلك رد
لنصوص الكتاب والسنة الدالة على اتصافه بصفات الكمال فيتوهم المعطل
ان ظاهر النصوص يدل على التشبيه فينفيها بوهمه الفاسد ويصير قلبه
متعبدا للعدم المحض لانه لا يعقل ذات ليس لها صفة ولا نعت ولا يعقل
من قول الجهمية ومن تبعهم ان الله ليس بداخل العالم ولا خارجه الا العدم
المحض والنفي الصرف فانه كفر بايات الله وتكذيب للرسل ورد لما جاؤا به
ولهذا قال المصنف فهو الكفور وليس ذا ايمان ولكن سياتي ان
شاء الله في كلام المصنف حكم الجهمية وغيرهم من المعطلة والتمييز بين
من يكفر منهم ومن يعذر بتاويله وبالجملة فالناس في المقام ثلاثة اقسام
مؤمن موحد ومشبه ومعطل فالمؤمن الموحد يصف الله بما وصف

به نفسه او وصفه به رسوله من صفات الكمال على الوجه اللائق بجلال الله
وعظمته من غير تمثيل ولا تشبيه ومن غير تحريف ولا تعطيل لشيء من
اوصاف الله والمشبه هو الذي يشبه صفات الخالق بصفات المخلوقين
او يتعرض لمعرفة كنهها وحقيقتها التي لا يعلمها الا الله والمعطل هو من نفى شيئا
من صفات الله وكل من المشبه والمعطل قد حرم الوصول الى معرفة ربه على وجهها
وابتلي بالتكلف والتحريف لنصوص الوحي وكما انه مناقض للوحي فهو مناقض
لما دلت عليه الفطر التي لم تغير والعقول المستقيمة فلا معقول لديهم ولا منقول
وهدى الله اهل السنة والجماعة لاتباع الحق المنقول عن الله وعن رسله و
المعقول الذي هو اوفى الالباب وذلك يظهر بتدبر ما عليه هذه الطوائف من المسائل
والادلة وتحقيقها ونسأله الهداية لاقوم الطرق واهداها

فصل

في النوع الثاني من النوع الاول وهو الثبوت

وهذا اشرف القسمين واجلهما وهو المقصود لذاته ومجمله ما ذكر المصنف في
هذا البيت حيث قال

هذا ومن توحيدهم اثبات أو * صاف الكمال لربنا الرحمن

اى من توحيد الانبياء والمرسلين واتباعهم اثبات كل صفة للرحمن وردت في
الكتب الالهية والنصوص النبوية ثم شرع يفصل شيئا منها فقال

كعلوه سبحانه فوق السمـــوات العلى بل فوق كل مكان
فهو العلى بذاته سبحانه * اذ يستحيل خلاف ذا ببيان
وهو الذى حقا على العرش استوى * قد قام بالتدبير للاكوان

اما علو الباري تعالى فوق جميع المخلوقات ومباينته لها فقد دل عليها مع
النصوص الكثيرة العقل الصريح فانه على بذاته فوق جميع مخلوقاته ويستحيل
ان لا يكون عليا فانه يستحيل ويمتنع ان يكون هو نفس المخلوقات ويمتنع ايضا
ان يكون حالا فيها فتعين ان يكون فوقها مباينا لها واما استواؤه على
العرش العظيم فيستفاد من النقل صريحا قال تعالى الرحمن على العرش
استوى وسئل الامام مالك رحمه الله تعالى عن كيفية الاستواء
فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال
عنه اى عن الكيفية بدعة فكما اثبت لله صفاته على الوجه اللائق
بجلاله وعظمته فالاستواء من جملة اوصافه الفعلية فاستوى على
العرش واحتوى على جميع الملك يدبر الامر في اقطار العالم العلوي والسفلي

فلا يتحرك

فلا يتحرك الا باذنه ولا يوجد شيء الا بمشيئته قال تعالى الرحمن على العرش
استوى ثم استوى على العرش يدبر الامر

حي مريد قادر متكلم * فهو رحمة وارادة وحنان

اى هو تعالى حي حياة كاملة جامعة لجميع صفات الذات لا تأخذه سنة
ولا نوم قال تعالى وتوكل على الحي الذى لا يموت وهو المريد القادر اى كامل
الارادة والقدرة وجمع بينهما لان جميع الافعال المتعلقة بذاته كالاستواء
والنزول الى السماء الدنيا والمجيء يوم القيامة ونحو ذلك والمتعلقة بخلقه
كالاحياء والاماتة والخلق وجميع انواع التدبير وجميع الاقوال تصدر
عن القدرة والارادة فما وجد علم ان الله اراده وخلقه وما لم يوجد علم
ان الله لم يرده فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن واذا كان كامل القدرة والارادة
علم ان ما في الكون من حول وقوة الاستفادة وتابعة لحول الله وقوته متكلم اى
لم يزل ولا يزال موصوفا بالكلام فيتكلم بما اراد وكيف اراد وحيث اراد ذو
رحمة وحنان اى قد اتصف بالرحمة وعم خلقه بالنعم والاحسان والبر والحنان
واللطف والامتنان

هو أول هو آخر هو ظاهر * هو باطن هي اربع بسوران

ماقبله شيئ كذا ما بعده * شيئ تعالى الله ذو السلطان

ما فوقه شيئ كذا ما دونه * شيئ وذا تفسير ذى البرهان

فانظر الى تفسيره بت[illegible] * وتعقل وتبصر طلب الغنى

وانظر الى ما فيه من انواع معـ * ـرفة لخالقنا العظيم الشان

قال الله تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيئ عليم وقال

النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الثابت عنه انت الاول فليس قبلك شيئ

وانت الاخر فليس بعدك شيئ وانت الظاهر فليس فوقك شيئ وانت الباطن

فليس دونك شيئ الحديث ولهذا فسر المصنف هذه الاسماء الاربعة

المباركة بما فسرها به النبى صلى الله عليه وسلم وقال وذا تفسير ذى البرهان

اى تفسير الرسول الذى كلامه اعلى رتب البيان والايضاح بعد كلام الله تعالى

فانه مشتمل على اثبات معانيها ونفى ما ينافيها ويضادها وحث المصنف

على تدبر هذه الاسماء الاربعة وتعقل معانيها وانها مشتملة على امور عظيمة

من انواع معرفة الله تعالى التى بها تحيا القلوب وتستنير الافئدة فلنسق

كلام المؤلف فى سفر الهجرتين على هذه الاسماء الاربعة فان فيه الشفاء

والكفاية قال رحمه الله تعالى على كلام شيخ الاسلام الانصارى فى قوله

الثانية الرجوع الى فضل الله ومطالعة سبقه الاسباب والوسائط

فبفضل الله ورحمته وجدت منه الاعمال والاقوال الشريفة والمقامات العلية

وبفضله ورحمته وصلوا الى رضاه ورحمته وقربه وكرامته وموالاته وكان سبحانه

هو الاول فى ذلك كله كما انه الاول فى كل شيئ وكان هو الاخر فى ذلك فى كل شيئ فمن

عبده باسمه الاول والاخر حصلت له حقيقة هذا الفقر فان انضاف الى ذلك

عبوديته باسمه الظاهر الباطن فهذا هو العارف الجامع لمتفرقات التقيد

ظاهرا وباطنا فعبوديته باسمه الاول تقتضى التجرد من مطالعة الاسباب

والوقوف والالتفات اليها وتجريد النظر الى مجرد سبق فضله ورحمته وانه

هو المبتدئ بالاحسان من غير وسيلة من العبد اذ لا وسيلة له فى العدم قبل

وجوده واى وسيلة كانت هناك وانما هو عدم محض وقد اتى عليه حين

من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فمنه الاعداد ومنه الامداد وفضله سابق على

الوسائل والوسائل من مجرد فضله ووجوده لم تكن بوسائل اخرى فمن نزل

اسمه الاول على هذا المعنى اوجد له فقرا خاصا وعبودية خاصة وعبودية

باسمه الاخر تقتضى ايضا علمه ركونه ووثوقه بالاسباب والوقوف معها

فانها تقدم لا محالة وتنقضى بالاخرية ويبقى الدائم الباقى بعدها فالتعلق

بها تعلق بما يعدم وينقضي والتعلق بالآخر سبحانه وتعالى تعلق بالحيّ
الذي لا يموت ولا يزول فالمتعلق به حقيق ان لا يزول ولا ينقطع بخلاف
التعلق بغيره مما له آخر يفنى به كما نظر العارف اليه بسبق الاولية حيث
كان قبل الاسباب كلها فكذلك نظر اليه ببقاء الآخرية حيث يبقى بعد
الاسباب كلها فكان الله ولم يكن شيئ غيره وكل شيئ هالك الا وجهه
فتامل عبودية هذين الاسمين وما يوجبانه من صحة الاضطرار الى الله
وحده ودوام الفقر اليه دون كل شيئ سواه وان الامر ابتداء منه
واليه يرجع فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيله واليه تنتهي
الاسباب والوسائل فهو اول كل شيئ واخره وكما انه رب كل شيئ
وفاعله وخالقه وبارئه فهو الهه وغايته التي لا صلاح له ولا فلاح
ولا كمال الا بكونه وحده غايته ونهايته ومقصوده فهو الاول الذي
ابتدات منه المخلوقات والآخر الذي انتهت اليه عبوديتها وارادتها
ومحبتها فليس وراء الله شيئ يقصد ويعبد ويتأله كما انه ليس قبله
شيئ يخلق ويبرئ فكما كان واحدا في ايجادك فاجعله واحدا في تألهك
اليه لتصح عبوديتك كما ابتدأ وجودك وخلقك منه فاجعله نهاية

حبك وارادتك وتألهك اليه لتصح لك عبوديته باسمه الاول والآخر واكثر
الخلق تعبدوا له باسمه الاول وانما الشان في التعبد له باسمه الآخر فهناك تعبد
الرسل واتباعهم فهو رب العالمين واله المرسلين سبحانه وبحمده وأما
عبوديته باسمه الظاهر فكما فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وانت
الظاهر فليس دونك شيئ وانت الباطن فليس دونك شيئ فاذا تحقق
العبد علوه المطلق على كل شيئ بذاته وانه ليس فوقه شيئ البتة وانه
قاهر فوق عباده يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه صار لقلبه أمما يقصده وربا يعبده
والها يتوجه اليه بخلاف من لا يدري اين ربه فانه ضائع مشتت
القلب ليس لقلبه قبلة يتوجه نحوها ولا معبود يتوجه اليه يقصده
وصاحب هذا الحال اذا سلك وتأله وتعبد طلب قلبه الها يسكن
اليه ويتوجه اليه وقد اعتقد انه ليس فوق العرش الا العدم وانه
ليس فوق العالم الها يعبد ويصلى له ويسجد وانه ليس على العرش من
يصعد اليه الكلم الطيب ولا يرفع اليه العمل الصالح جال قلبه في
الوجود جميعه فوقع في الاتحاد ولا بد وتعلق قلبه بالوجود المطلق

السارى فى لمعينا فاتخذ الهه من دون الله الحق وظن انه قد وصل
الى عين الحقيقة وانما تأله وتعبد لمخلوق مثله ولخيال نحته بفكره
واتخذه الها من دون الله سبحانه واله المرسلين وراء ذلك كله ان ربكم
الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على
العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم
فاعبدوه افلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدئ
الخلق ثم يعيده ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين
كفروا لهم عذاب اليم بما كانوا يكفرون وقال الله الذى خلق
السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش
مالكم من دون الله من ولى ولا شفيع افلا تتذكرون الى قوله قليلا
ما تشكرون فقد تعرف سبحانه الى عباده بكلامه معرفة لا ينكرها
الا من انكره سبحانه وتعالى وان زعم انه مقر به والمقصود ان التعبد
باسمه الظاهر يجمع القلب على المعبود ويجعل له ربا يقصده ويصمد
يصمد اليه فى حوائجه وملجأ يلجأ اليه فاذا استقر ذلك فى قلبه
وعرف ربه باسمه الظاهر استقامت له عبوديته وصار له معقل

وموئل يلجأ اليه ويهرب اليه ويفر كل وقت اليه واما تعبده باسمه الباطن
فامر يضيق نطاق التعبير عن حقيقته ويكل اللسان عن وصفه وتصطلم
الاشارة اليه وتجف العبارة عنه فانه يستلزم معرفة بريئة من
شوائب التعطيل مخلصة من فرث التشبيه منزهة عن رجس الحلول
والاتحاد وعبارة مودية للمعنى كاشفة عنه وذوقا صحيحا سليما من اذواق
اهل الانحراف فمن رزق هذا فهم معنى اسمه الباطن وصح له التعبد له
وسبحان الله كم زلت فى هذا المقام اقدام وضلت فيه افهام وتكلم
فيه الزنديق بلسان الصديق واشتبه فيه اخوان النصارى بالحنفاء
المخلصين لنبو الافهام عنه وعزة تخلص الحق من الباطل فيه والتباس
ما فى الذهن بما فى الخارج الا من على زرقه الله بصيرة فى الحق ونورا يميز به
بين الهدى والضلال وفرقانا يفرق به بين الحق والباطل ورزق مع ذلك
اطلاعا على اسباب الخطأ وتفرق الطرق ومثار الغلط وكان له بصيرة فى
الحق والباطل وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
وباب هذه المعرفة والتعبد هو معرفة احاطة الرب سبحانه بالعالم
وعظمته وان العوالم كلها فى قبضته وان السموات والارضين السبع

في يده كخردلة في يد العبد قال تعالى واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وقال
والله من ورائهم محيط ولهذا يقرن سبحانه بين هذين الاسمين الدالين على هذين
المعنيين اسم العلو الدال على انه الظاهر وانه لا شيء فوقه واسم العظمة على الاحاطة
وانه لا شيء دونه كما قال تعالى وهو العلي العظيم وقال وهو العلي الكبير وقال
ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وهو تبارك
وتعالى كما انه العالي على خلقه بذاته فليس فوقه شيء فهو الباطن بذاته فليس
دونه شيء بل ظهر على كل شيء فكان فوقه وبطن فكان اقرب الى كل شيء من
نفسه وهو محيط به بحيث لا يحيط الشيء بنفسه وكل شيء في قبضته
وليس شيء في قبضة نفسه فهذا قرب الاحاطة العامة واما القرب المذكور
في الكتاب والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه وداعيه وهو ثمرة
التعبد باسمه الباطن قال تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب
اجيب دعوة الداع اذا دعان فهذا قربه من داعيه وقال ان رحمة الله
قريب من المحسنين فذكر الخبر وهو قريب عن لفظ الرحمة وهي مؤنثة ايذانا
بقربه تعالى من المحسنين فكانه قال ان الله برحمته قريب من المحسنين
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه

وهو

وهو ساجد واقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل فهذا قرب خاص
غير قرب الاحاطة وقرب البطون وفي الصحيح من حديث ابي موسى انهم كانوا مع
النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فارتفعت اصواتهم بالتكبير فقال ايها الناس
اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا ان الذين تدعون سميع قريب
اقرب الى احدكم من عنق راحلته فهذا قربه من داعيه وذاكر به يعني فاي
حاجة بكم الى رفع الاصوات وهو لقربه يسمعها وان خفضت كما يسمعها
اذا ارتفعت فانه سميع قريب وهذا القرب هو من لوازم المحبة فكلما كان
الحب اعظم كان القرب اكمل وقد تستولي محبة المحبوب على قلبه محبة بحيث
يغني بها عن غيرها ويغلب محبوبه على قلبه حتى كانه يراه ويشاهده فان لم يكن
عنده معرفة صحيحة بالله والا طرق باب الحلول ان لم يلجه وسببه ضعف
تمييزه وقوة سلطان المحبة واستيلاء المحبوب على قلبه بحيث يغيب
عن ملاحظة ما سواه وفي مثل هذه الحال يقول سبحاني وما في الجبة الا
الله ونحو هذا من الشطحات التي نهايتها ان يغفر له ويعذر لسكره وعدم
تمييزه في تلك الحال فالتعبد في هذا الاسم هو التعبد بخالص المحبة وصفو
الوداد وان يكون الاله اقرب اليه من كل شيء واقرب اليه من نفسه مع

كونه ظاهرا ليس فوقه شيئ ومن كثف ذهنه وغلظ طبعه عن فهم هذا
المعنى فليضرب عنه صفحا الى ما هو اولى به فقد قيل

اذا لم تستطع شيئا فدعه ❊ وجاوزه الى ما تستطيع

فمن لم يكن له ذوق من قرب المحبة ومعرفة بقرب المحبوب من حبه غاية القرب
وان كان بينهما غاية المسافة ولا سيما اذا كانت المحبة من الطرفين وهى
محبة بريئة من العلل والشوائب والاعراض القادحة فيها فان المحب كثيرا
ما يستولى محبوبه على قلبه وذكره ويفنى عن غيره ويرق قلبه وتتحرك
نفسه فيشاهد محبوبه كالحاضر معه القريب اليه وبينهما من البعد
ما بينهما وفى هذه الحالة يكون في قلبه وجوده العلمى وفى لسانه وجوده اللفظى
فيستولى هذا الشهود عليه ويغيب به فيظن ان فى عينه وجوده الخارجى
لغلبة حكم القلب والروح كما قيل

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى ❊ ومثواك فى قلبى فاين تغيب

هذا ويكون ذلك المحبوب بينه وبين عداوه وما بينهما من البعد وان قربت
الابدان وتلاصقت الديار والمقصود ان المثال العلمى محله القلب والحقيقة
الخارجية محلها الخارج فمعرفة هذه الاسماء الاربعة وهى الاول والآخر

والظاهر

والظاهر والباطن هى اركان العلم والمعرفة فتحقيق بالعبد ان يبلغ فى معرفتها
الى حيث ينتهى اليه قواه وفهمه واعلم ان لك اولا وآخرا وظاهرا
وباطنا بل كل فله اول وآخر وظاهر وباطن حتى اللحظة والنفس شئ
وادنى من ذلك واكثر فاولية الله عز وجل سابقة على اولية كل ما سواه وآخريته
ثابتة بعد اخرية ما سواه فاوليته سابقة على اولية كل ما سواه واخريته
بقاؤه بعد كل شئ وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شئ ومعنى الظهور
يقتضى العلو وظاهر الشئ هو ما علا منه واحاط بباطنه وبطونه سبحانه
احاطته بكل شئ بحيث يكون اقرب اليه من نفسه وهذا قرب غير قرب
المحب من حبيبه هذا لون وهذا لون فمدار هذه الاسماء على الاحاطة وهى
احاطتان زمانية ومكانية فاحاطة اوليته واخريته بالقبل والبعد
فكل سابق انتهى الى اوليته وكل اخر انتهى الى اخريته فاحاطة اوليته
وآخريته بالاوائل والاواخر واحاطة ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن
فما من ظاهر الا والله فوقه وما من باطن الا والله دونه وما من اول الا والله
قبله وما من اخر الا والله بعده فالاول قدمه والآخر دوامه وبقاؤه والظاهر
علوه وعظمته والباطن قربه ودنوه فسبق كل شئ باوليته وبقى بعد كل

اخر بآخريته وعلا على كل شيئ بظهوره ودنا من كل شيئ ببطونه فلا توارى
منه سماء سماء ولا ارض ارضا ولا يحجب عنه ظاهر باطنا بل الباطن له
ظاهر والغيب عنه شهادة والبعيد منه قريب والسر عنه علانية فهذه
الاربعة تشتمل على اركان التوحيد فهو الاول في آخريته والآخر في اوليته والظاهر
في بطونه والباطن في ظهوره لم يزل اولا واخرا وظاهرا وباطنا هذا آخر
كلام المصنف رحمه وهو في غاية النفاسة في هذا الموضع وكرر العبارات
لتنوعه لاجل ان يفهم المعنى فهما صحيحا تاما لان هذا الموضع من اهم المواضع
واعظمها حاجة والله اعلم

وهو العلي فكل انواع العلو ثابتة بلا نكران

يعني ان الله تعالى هو العلي الذي له جميع انواع العلو ثابتة شرعا وعقلا بلا
انكار ولا تعطيل لشيئ منها فله الذات وانه فوق المخلوقات فوق العرش العظيم
قد بان العلو العلوي والسفلي وله علو القدر وهو علو صفاته وعظمتها
بحيث كانت صفاته عالية عظيمة لا يماثلها ولا يقاربها صفة شيئ من
المخلوقات بل لا يقدر الخلق كلهم ان يحيطوا علما ببعض صفاته قال تعالى
ولا يحيطون به علما وله علو القهر فقهر على جميع المخلوقات وقهرها فكلها تحت

قبضته ونواصيها بيده لا يتحرك منها متحرك ولا يسكن ساكن الا باذنه ولو
اجتمعوا على ايجاد فعل او حركة لم يردها الله لم يقدروا على ذلك وذلك لكمال
اقتداره وعظمته وشدة افتقار المخلوقات اليه من كل وجه

وهو العظيم بكل معنى يوجب التعظيم لا يحصيه من انسان

يريد ان الله تعالى عظيم له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم لا يحصيه من
انسان ولا مخلوق ان يحصي الثناء على الله بعظمته ومعاني التعظيم نوعان
احدهما انه تعالى موصوف بكل صفة كمال وله من ذلك الكمال الذي وصف به
اكمله واعظمه واجله فله العلم المحيط والقدرة النافذة والكبرياء والعظمة
حتى ان من عظمته ان السموات والارض في كف الرحمن كالخردلة في يد المخلوق
كما قال ذلك ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال تعالى وما قدروا الله حق
قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقال
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من
احد من بعده انه كان حليما غفورا وقال تعالى وهو العلي العظيم تكاد
السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم وقال
النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل انه قال الكبرياء

ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى شيئا منهما عذبته وقال النبى صلى الله
عليه وسلم جنتان من ذهب انيتهما وحليتهما وما فيهما وجنتان من
فضة انيتهما وحليتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم
الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن فلله تعالى الكبرياء والعظمة
الوصفان اللذان لا يقادر قدرهما ولا يبلغ كنههما النوع الثانى من
معانى عظمته تعالى انه لا يستحق التعظيم احد من الخلق غيره تعالى
فيستحق على العباد ان يعظموه فى قلوبهم والسنتهم واعمالهم وذلك ببذل
الجهد فى معرفته ومحبته والذل له والخوف منه واعمال اللسان بالثناء
عليه وقيام الجوارح بشكره وعبوديته ومن تعظيمه ان يطاع فلا يعصى
ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر ومن تعظيمه واجلاله ان لا يعترض
على شئ مما خلقه او شرعه بل يخضع لحكمته وينقاد لحكمه

وهو الجليل فكل اوصاف الجلا ... له محققة بلا بطلان
وهو الجميل على الحقيقة كيف لا ... وجمال سائر هذه الاكوان
من بعض اثار الجميل فربها ... اولى واجدر عند ذى العرفان
فجماله بالذات والاوصاف والا ... فعال والاسماء بالبرهان

لا شئ يشبه ذاته وصفاته سبحانه عن افك ذى البهتان

يعنى ان الله تعالى هو الجليل الذى له جميع اوصاف الجلال وهى اوصاف العظمة
والكبرياء ثابتة لله محققة لا يفوته منها وصف جلال وكمال وكذلك هو
الجميل بالذات والاوصاف والافعال والاسماء فان ذاته تعالى لها من الجمال ما لا يمكن
مخلوقا ان يعبر عن بعض جماله حتى ان اهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم الذى
لا يوصف واللذات التى لا يقادر قدرها والافراح والسرور اذا رأوا ربهم وتمتعوا
بجماله نسوا ما هم فيه من النعيم وتلاشى ما هم فيه من الافراح وودوا ان لو
تدوم لهم هذه الحالة واكتسبوا من جماله جمالا الى جمالهم وكانت قلوبهم دائما
فى شوق وتنزع الى رؤية ربهم حتى انهم يفرحون بيوم المزيد فرحا تكاد تطير له
القلوب وكذلك هو الجميل فى اسمائه لان اسماءه كلها حسنى بل هى احسن الاسماء
على الاطلاق واجملها قال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال تعالى
هل تعلم له سميا وهذا لا يسمى باسم محتمل المدح وغيره بل لا يسمى الا بالاسماء
الدالة على غاية المدح والحمد وكذلك هو الجميل فى اوصافه فان اوصافه كلها
اوصاف كمال ونعوت ثناء وحمد فهى اوسع الصفات واعمها واكثرها
تعلقا خصوصا اوصاف الرحمة والبر والاحسان والجود والكرم وكذلك

افعاله تعالى كلها جميلة فانها دائرة بين افعاله البر والاحسان التي يحمد عليها
ويشكر ويثنى عليه بها وبين افعال العدل التي يحمد عليها لموافقتها الحكمة والحمد
فليس في افعاله عبث ولا سفه ولا ظلم بل كلها هدى ورحمة وعدل ورشد
ان ربي على صراط مستقيم وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك
ظن الذين كفروا ثم استدل المصنف رحمه الله تعالى بدليل عقلي على جمال
الباري فقال كيف لا يكون جميلا والحال أن جمال جميع الاكوان من بعض اثار
الجميل فربها الذي اعطاها الجمال احق واجدر منها بالجمال فكل جمال في الدنيا
والاخرة باطني وظاهري مما يبتهر العقول وتحير له الافئدة خصوصا ما يعطي
الله اهل الجنة في الجنة من الجمال لهم ولنسائهم اللاتي لو بدا كف واحدة منهن
الى الدنيا لطمس نوره نور الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم اليس الذي
كساهم ذلك الجمال ومن عليهم بذلك الكمال احق منهم به فهذا دليل عقلي
واضح مسلم المقدمات على هذه المسئلة العظيمة قال الله تعالى ولله المثل
الاعلى اي كل ما وجد في المخلوقات من كمال لا يستلزم نقصا فان معطيه احق به
من المعطى بالانسبة بينه وبينهم الا كنسبة ذواتهم الى ذاته وصفاتهم
الى صفاته فالذي اعطاهم السمع والبصر والعلم والقدرة والجمال والكمال احق

منهم

منهم بذلك وكيف يعبر احد عن جماله وقد قال اعلم الخلق به لا احصي ثناء
عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال حجابه النور لو كشفه لاحرقت
سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وهذا قال المؤلف
لا شيء يشبه ذاته وصفاته سبحانه اي تنزه وتقدس عن افك ذي البهتان
اي كذب المفتري الذين لم يقدروا الله حق قدره ولا عظموه حق عظمته
حين عطلوا اوصافه التي نطقت بها الكتب وصرحت بها الرسل وحسبهم
خسارا ومقتا ان حرموا من الوصول الى معرفته والابتهاج بمحبته وجمع
المؤلف بين الجليل والجميل لان تمام التعبد لله هو التعبد له بهذين الاسمين
الكريمين فالتعبد بالجليل يقتضي تعظيمه وخوفه وهيبته واجلاله والتعبد
باسمه الجميل يقتضي محبته والتأله له وان يبذل له خالص المحبة وصفو
الوداد بحيث يتسيح القلوب في رياض معرفته وميادين جماله وتبتهج بما
يحصل له من اثار جماله وكماله فان الله ذو الجلال والاكرام

وهو المجيد صفاته اوصاف تعظيم فشأنه اوصاف اعظم شأن

يعني ان معنى اسمه المجيد انه عظيم الصفات واسعها فكل وصف من
اوصافه فشانه عظيم فهو العليم الكامل في علمه الرحيم الذي وسعت رحمته

كل شيء القدير الذى لا يعجزه شيء الحليم الكامل فى حلمه قال المصنف رحمه الله
فى بدائع الفوائد فان المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال
ولفظه يدل على هذا فانه موضوع للسعة والكثرة والزيادة فمنه استمجد
المرخ والعفار وامجد الناقة علفا ومنه رب العرش المجيد صفة للعرش لسعته
وعظمته وشرفه وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنا بطلب الصلاة من الله على
رسوله كما علمناه صلى الله عليه وسلم يعنى فى قوله (اللهم صل على محمد وبارك
على محمد انك حميد مجيد) لانه فى مقام طلب المزيد والتقرض لسعة العطا
وكثرته ودوامه فاتى فى هذا المطلوب باسم يقتضيه كما تقول اغفر لى انك انت
الغفور الرحيم ولا يحسن انك انت السميع البصير فهو راجع الى التوسل اليه
باسمائه وصفاته وهو من اقرب الوسائل واحبها اليه ومنه الحديث الذى
فى المسند والترمذى الظوا بيا ذا الجلال والاكرام ومنه اللهم انى اسالك
بان لك الحمد لا اله الا انت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام
فهذا سؤال له وتوسل اليه بحمده وانه لا اله الا هو المنان فهو توسل اليه
باسمائه وصفاته وما احق ذلك بالاجابة واعظمه موقعا عند السؤال وهذا باب
عظيم من ابواب التوحيد اشرنا اليه اشارة وقد فتح لمن بصره الله انتهى كلامه

وهو

وهو السميع يرى ويسمع كلما * فى الكون من سر ومن اعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر * فالسر والاعلان مستويان
والسمع منه واسع الاصوات لا * يخفى عليه بعيدها والدان
وهو البصير يرى دبيب النملة السوداء تحت الصخر والصوان
ويرى مجارى القوت فى اعضائها * ويرى نياط عروقها بعيان
ويرى خيانات العيون بلحظها * ويرى كذاك تقلب الاجفان

هذه الابيات فى شرح هذين الاسمين الكريمين السميع البصير وكثير
ما يقرن الله بينهما كمثل قوله وكان الله سميعا بصيرا فكل من السمع
والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة والباطنة فالسميع هو الذى
احاط سمعه بجميع المسموعات فكل ما فى العالم العلوى والسفلى من
الاصوات يسمعها سرها وعلانيتها حتى كانها لديه صوت واحد لا
تختلط عليه الاصوات ولا تغلطه اللغات والقريب منها والبعيد والسر
والعلانية كلها عنده سواء قال تعالى سواء منكم من اسر القول ومن
جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وقال تعالى قد سمع الله
قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله

سميع بصير قالت عائشة رضى الله عنها تبارك الذى وسع سمعه الاصوات
لقد جاءت المجادلة تشتكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا فى جانب الحجرة
وانه ليخفى على بعض كلامها فانزل الله قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها
الاية وسمعه تعالى نوعان أحدهما سمعه لجميع الاصوات الظاهرة والخفية
واحاطته بها احاطة تامة والثانى سمع الاجابة منه للسائلين والعابدين
والمتضرعين فيجيبهم ويثيبهم ومنه قول العبد فى صلاته سمع الله لمن حمده
اى استجاب الله لمن حمده واثنى عليه وعبده ومنه قول ابراهيم عليه السلام
الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء ثم
قال المصنف وهو البصير اى الذى احاط بصره بجميع المبصرات فى اقطار
الارض والسموات حتى اخفى ما يكون منها فيرى دبيب النملة السوداء فى
الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ويرى اعضائها الظاهرة والباطنة حتى
انه يرى سريان القوت فى اعضائها الصغار جدا ويرى سريان المياه فى الاشجار
واغصانها وعروقها وجميع النباتات ويرى بنياط عروق النملة والبعوضة
واصغر من ذلك فتبارك من تحيرت العقول عند التأمل لبعض صفاته
المقدسة وتشهد البصائر كماله وعظمته ولطفه وخبرته بالغيب

والشهادة

والشهادة والحاضر والغائب والخفى والجلى ويرى تعالى خيانات العيون
بلحظها حين يلحظ العبد منظرا يخفيه على جليسه فالله تعالى يراه فى
تلك الحالة التى يحرص على اخفاء ملاحظته عن كل احد ويرى تقلب الاجفان
حين يقلبها الناظر من ادمى او ملك او جنى او حيوان وحين يطبقها ويفتحها
قال تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين وقال تعالى يعلم
خائنة الاعين وما تخفى الصدور وقال تعالى والله على كل شىء شهيد اى
اى مطلع ومحيط علمه بجميع المعلومات وسمعه بجميع المسموعات وبصره بجميع
المرئيات ما تبصره وما لا تبصره

وهو العليم احاط علما بالذى * فى الكون من سر ومن اعلان
وبكل شىء علمه سبحانه * فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذاك يعلم ما يكون غدا وما * قد كان والموجود فى الآن
وكذاك ما لم يكن لو كان كيـ * ـف يكون ذا امكان

هذا تفسير للعلم باحسن تفسير واجمعه فهو تعالى العليم الذى له العلم
العام للواجبات والممتنعات والممكنات فيعلم نفسه الكريمة وصفاته
المقدسة ونعوته العظيمة وهى الواجبات التى لا يمكن الا وجودها ويعلم

ويعلم للممتنعات حال امتناعها ويعلم ما يترتب على وجودها لو وجدت
كما قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال تعالى ما اتخذ الله
من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على
بعض فهذا ونحوه من ذكره للممتنعات التي يعلمها واخباره بما ينشأ عنها
لو وجدت على وجه الفرض والتقدير ويعلم تعالى الممكنات وهو الذي يجوز
وجودها وعدمها ما وجد منها وما لم يوجد مما لم تقتض الحكمة ايجاده
فهو العليم الذي احاط علمه بالعالم العلوي والسفلي بحيث لا يخلو عن علمه
مكان ولا زمان ويعلم الغيب والشهادة والظواهر والبواطن والجلي
والخفي قال تعالى ان الله بكل شيء عليم وقال تعالى هو الله الذي لا اله الا
هو عالم الغيب والشهادة وقال تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل
الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري
باي ارض تموت ان الله عليم خبير وقال تعالى وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين
وقال تعالى يعلم السر واخفى وقال تعالى والله عليم بذات الصدور وقال
ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم

يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وقال تعالى ان الله لا
يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وقال تعالى عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال
ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين
وقال تعالى اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من
انثى ولا تضع الا بعلمه الى غير ذلك من النصوص الدالة على شمول علم الله لكل
شيء وانه لا يخفى عليه ظاهر ولا باطن ولا بعيد ولا قريب ولا يغفل عنه ولا
ينساه ولا يعرض لعلمه ما يعرض لعلم غيره فان علم المخلوق يعرض له عدم
الاحاطة ويعرض له النسيان لما علمه والله تعالى كما قال المصنف فهو المحيط
وليس ذا نسيان كما قال تعالى علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى
وقال الخضر الذي قد علمه الله من لدنه علما كثيرا وخصه من علم الباطن بما
ليس لموسى ولا لغيره كليم الرحمن اعلم الخلق على الاطلاق بعد محمد وابراهيم
عليهما السلام لما لقي الخضر ليتعلم منه مر على البحر فنقر عصفور من البحر
بمنقاره فقال الخضر لموسى ما نقص علمي وعلمك وعلم سائر الخلق من علم الله الا
كما نقص هذا العصفور من هذا البحر ولما ذكر المصنف رحمه الله احاطة علم
الله بجميع الاكوان ذكر احاطته بجميع الازمان الحاضرة والماضية والمستقبلة

فقال وهو العليم بما يكون غدا اى المستقبلات وما قد كان اى من جميع الامور
الماضيات والموجود فى الآن اى الحاضرات كلها دقيقها وجليلها قد احاط الله
بها علما ولما خلق الله القلم قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة
قال له اكتب قال ما اكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة فجرى بما هو
كائن الى يوم القيمه وهذا يجمع الله كثيرا بين علمه المحيط وكتابته
المحيطة بالاشياء كما قال تعالى الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض
ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير وقال تعالى يعلم ما بين ايديهم
اى من الامور الماضية وما خلفهم اى من الامور المستقبلة ولا يحيطون بشيئ
من علمه الا بما شاء وقال فرعون لموسى فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى
فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى وحين تستكمل خلقة الادمى يرسل الملك اليه
الملك ويامره باربع كلمات بكتب رزقه واجله وعمله وشقى ام سعيد
فما اصاب العبد لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه جفت
الاقلام وطويت الصحف واذا مات الخلق وتفرقوا فى جهات الارض
وفلوات القفار ولجج البحار وبطون الطيور والسباع وصاروا رفاتا
واضمحلت اوصالهم وتلاشت اعضائهم فعلم الله محيط بهم قد

علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ فاذا نفخ فى الصور ارسل
الله كل روح الى جسدها الذى كانت تعمره ثم يقام فيهم على كل ما عملوه من
خير وشر احصاه الله ونسوه فيعلم مقادير اعمالهم ومقادير ثوابها وعقابها
ثم اذا استقر اهل الجنة بالجنة واهل النار بالنار وجرت عليهم احكام الجزاء
فعلم الله محيط بتفاصيل احوالهم وما هم فيه من النعيم والعذاب فتبارك
الله رب العالمين ما اعظمه واجله وما اوسع صفاته واكملها واجلها
وقول المؤلف وكذلك امر لم يكن لو كان كيف يكون ذا امكان اى وكذلك
يعلم تعالى الامور التى لم تكن ولا تكون من الممكنات التى لم يوجدها
البارى ولن يوجدها يعلم لو وقعت كيف تكون وكيف ينشأ عنها مثل
قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فردهم لو يكون ولو كان على الفرض
والتقدير لعادوا لما نهوا عنه فان اخلاقهم التى اكتسبوا منها الشر معهم
وقد عمرهم الله عمرا يتذكر من تذكر وجاءهم النذير فسوالهم هذا الامحل
له وهم كذبة ايضا فى هذا السؤال لم يكن قصدهم الا دفع العذاب الذى
حتم عليهم فقالوا ما قالوا ومثل قوله ولو انزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى
وحشرنا عليهم كل شيئ قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشاء الله وقال تعالى

قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا ونحو ذلك من الايات التي فيها الاخبار عن امر لم يكن انه لو كان
لكان كذا وكذا

فصل

وهو الحميد فكل حمد واقع * أو كان مفروضا مدى الازمان
ملأ الوجود جميعه ونظيره * من غير ما عدو ولا حسبان
هو اهله سبحانه وبحمده * كل المحامد وصف ذي الاحسان

عقد المصنف رحمه الله لهذا الاسم المبارك هذا الفصل على احدى عشرة
به وسعته وعظمته فذكر انه الحميد من وجهين احدهما من جهة حمد
المخلوقات له وذلك انه كل حمد وقع من اهل السموات والارض الاولين
والاخرين وكل حمد يقع منهم في الدنيا وفي الاخرة وكل حمد لم يقع من الخلق بل
كان مفروضا ومقدرا حتما تسلسلت الازمان وتوالت الاوقات حمدا
يملأ الوجود كله العالم العلوي والسفلي ويملأ نظير الوجود من غير عدو ولا
حسبان فالله سبحانه اهله ومستحقه من وجوه كثيرة منها ان الله هو
الذي خلقهم ورزقهم واسدى عليهم من النعم الظاهرة والباطنة الدينية

والدنيوية

والدنيوية وصرف عنهم النقم والمكاره فما بالعباد من نعمة الا منه ولا يدفع
المكروهات الا هو فيستحق منهم ان يحمدوه في جميع الاوقات ويثنوا عليه
ويشكروه بعدد اللحظات والوجه الثاني من جهة المحامد والمدائح والنعوت
الجليلة الجميلة اوصاف الله تعالى فله كل صفة كمال وله من تلك الصفة اكملها
واعظمها فكل صفة من صفاته يستحق عليها اكمل الحمد والثناء فكيف بجميع
الاوصاف المقدسة وله تعالى الحمد لذاته وله الحمد لصفاته لانها كلها مدائح
وكمالات وله الحمد لافعاله لانها دائرة بين الفضل والاحسان وبين العدل والحكمة
قال المصنف رحمه الله في كتابه سفر الهجرتين وباب السعادتين لما ذكر
الحكمة والقدرة

فصل

ويجمع هذين الاصلين العظيمين اصل ثالث هو عقد نظامها وجامع شملهما
وبتحقيقه واثباته على وجهه يتم بناء هذين الاصلين وهو اثبات الحمد كله
لله رب العالمين فانه المحمود على خلقه وامره ونهيه عنه فهو المحمود على
طاعات العباد ومعاصيهم وايمانهم وكفرهم وهو المحمود على خلق الابرار
والفجار والملائكة والشياطين وعلى خلق الرسل واعدائهم وهو المحمود على

عدله في اعدائه كما هو المحمود على فضله وانعامه فكل ذرة من ذرات الكون
شاهدة بحمده ولهذا سبح بحمده السموات السبع والارض ومن فيهن وان
من شيء الا يسبح بحمده وكان في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم عند
الاعتدال من الركوع ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما
شئت من شيء بعد فله سبحانه الحمد حمدا يملأ المخلوقات والفضاء الذي
بين السماء والارض ويملأ ما يقدر بعد ذلك مما يشاء الله ان يملأ
بحمده وذلك يحتمل امرين أحدهما ان يملأ ما يخلقه الله
بعد السموات والارض والمعنى ان الحمد ملء ما خلقته وملء ما خلقه
بعد ذلك الثاني ان يكون المعنى ملء ما شئت من شيء بعد يملؤه
حمدك اي يقدر مملوءا بحمدك وان لم يكن موجودا ولكن يقال
المعنى الاول اولى لان قوله ما شئت من شيء بعد يقتضي انه شيء يشاؤه
وما شاء كان والمشيئة متعلقة بعينه لا بمجرد ملء الحمد له فتأمله
لكنه اذا شاء كونه فله الحمد ملء ه فالمشيئة راجعة الى المملوء بالحمد
فلا بد ان يكون شيئا موجودا يملؤه حمده وايضا فان قوله من شيء
بعد يقتضي انه شيء يشاؤه سبحانه بعد هذه المخلوقات كما يخلقه بعد

ذلك

ذلك من مخلوقاته من القيامة وما بعدها ولو اريد تقدير خلقه لقيل وملء
ما شئت من شيء مع ذلك لان المقدر يكون مع المحقق وايضا فانه لم يقل
ملء ما شئت ان يملأه الحمد بل قال ما شئت والعبد قد حمد حمدا اخبر
به وانشأه ووصفه بانه يملأ ما خلقه الرب سبحانه وما يشاء بعد ذلك
وايضا فقوله وملء ما شئت من شيء بعد يقتضي اثبات مشيئة تتعلق
بشيء بعد ذلك وعلى الوجه الثاني قد تتعلق المشيئة بمحل المقدر وايضا
فاذا قيل ما شئت من شيء بعد ذلك كان الحمد ما لئ لما هو موجود يشاؤه
الرب دائما ولا ريب ان له الحمد دائما في الدنيا والاخرة واما اذا قدر ما
يملؤه الحمد وهو غير موجود فالمقدرات لا حد لها وما من شيء منها الا يمكن
تقدير شيء بعده وتقدير ما لا نهاية له كتقدير الاعداد ولو اريد هذا المعنى
لم يحتج الى تعليقه بالمشيئة بل قيل ملء ما لا يتناهى فاما ما يشاؤه
الرب فلا يكون الا موجودا مقدرا وان كان لا اخر لنوع الحوادث او بقاء
ما يبقى منها كله مما يشاؤه بعد وايضا فالحمد هو الاخبار عما لله المحمود على
وجه الحب له ومحاسن المحمود تعالى اما قائمة بذاته واما ظاهرة
بمخلوقاته فاما المعدوم المحض الذي لم يخلق ولا خلق قط فذاك ليس فيه

محاسن ولاغيرها فلا محامد فيه البتة فالحمد لله الذى يملأ المخلوقات ما وجد
منها وما يوجد هو حمد يتضمن الثناء عليه بكماله القائم بذاته والمحاسن الظاهرة
فى مخلوقاته واما ما لا وجود له فلا محامد فيه ولا مذام فجعل الحمد ما لئا له جعله
مالئا لما لا حقيقة له وقد اختلف الناس فى معنى كون حمده يملأ السموات
والارض وما بينهما فقالت طائفة على جهة التمثيل اى لو كان اجساما لملأ
السموات والارض وما بينهما قالوا فان الحمد من قبيل المعانى والاعراض التى لا تملأ
بها الاجسام ولا تملأ الاجسام الا بالاجسام والصواب انه لا يحتاج الى
هذا التكلف البارد فان ملء كل شئ يكون بحسب المالئ والمملوء فاذا قيل
امتلأ الاناء ماء وامتلأت الجفنة طعاما فهذا لامتلاء نوع واذا قيل امتلأت
الدار رجالا وامتلأت المدينة خيلا ورجالا فهذا نوع واذا قيل امتلأ
الكتاب سطورا فهذا نوع آخر واذا قيل امتلأت مسامع الناس حمدا
وذما لفلان فهذا نوع آخر كما فى اثر معروف اهل الجنة من امتلأت مسامعه
من ثناء الناس عليه واهل النار من امتلأت مسامعه من ذم الناس له
وقال عمر بن الخطاب فى عبد الله بن مسعود كنيف ملئ علما ويقال فلان
علمه قد ملأ الدنيا وكان يقال ابن ابى الدنيا علما ويقال صيت فلان قد

ملا

ملأ الدنيا وضيف الآفاق وحبه قد ملأ القلوب وبغض فلان قد ملأ
القلوب وامتلأ قلبه رعبا وهذا اكثر من ان يستوعب شواهده وهو حقيقة فى
بابه وجعل الملء والامتلاء حقيقة للاجسام خاصة تحكم باطل ودعوى لا
دليل عليها البتة والاصل الحقيقة الواحدة والاشتراك المعنوى هو الغالب على
اللغة والافهام والاستعمال فالمصير اليه اولى من المجاز والاشتراك هذا موضع
تقرير المسألة والمقصود ان الرب اسماؤه كلها حسنى ليس فيها اسم سوء وأو
صافه كلها كمال ليس فيها صفة نقص وافعاله كلها حكمة ليس فيها فعل خال
عن الحكمة والمصلحة وله المثل الاعلى فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم موصوف
بصفة الكمال منعوت بنعوت الجلال منزه عن التشبيه والمثال ومنزه عما
يضاد صفات كماله فمنزه عن الموت المضاد للحياة وعن السنة والنوم والسهو
والغفلة المضاد للقيومية وموصوف بالعلم منزه عن اضداده كلها من
النسيان والذهول وعزوب شئ عن علمه موصوف بالقدرة التامة منزه
عن ضدها من العجز واللغوب والاعياء موصوف بالعدل منزه عن الظلم
موصوف بالحكمة منزه عن العبث موصوف بالسمع والبصر منزه عن
اضدادهما من الصمم والبكم موصوف بالعلو والفوقية منزه عن اضداد ذلك

موصوف بالغنى التام منزه عما يضاده بوجه من الوجوه ومستحق للحمد
كله فيستحيل ان يكون غير محمود كما يستحيل ان يكون غير قادر ولا خالق ولا حى
وله الحمد كله واجب لذاته فلا يكون الا محمودا كما لا يكون الا الها وربا وقادرا
فاذا قيل الحمد كله لله فهذا له معنيان احدهما انه محمود على شيء وبكل
ما يحمد به المحمود التام وان كان بعض خلقه يحمد اذا كما يحمد انبياؤه ورسله
واتباعهم فذلك من حمده تبارك وتعالى بل هو المحمود بالقصد الاول وبالذات
وما نالوه من الحمد فانما نالوه بحمده فهو المحمود اولا وآخرا وظاهرا وباطنا
وهذا كما انه بكل شيء عليم وقد علم غيره من علمه ما لم يكن يعلمه بدون
تعليمه وفي الدعاء المأثور اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله
واليك يرجع الامر كله اسألك من الخير كله واعوذ بك من الشر كله وهو سبحانه
له الملك وقد اتى من المملكة بعض خلقه وله الحمد وقد اتى من الحمد ما شاء
وكما ان ملك المخلوق داخل في ملكه فحمده ايضا داخل في حمده فما من محمود
يحمد على شيء مما دق وجل الا والله المحمود عليه بالذات والاولوية ايضا واذا
قال اللهم لك الحمد فالمراد به انت المستحق لكل حمد ليس المراد به الحمد الخارجي فقط
المعنى الثاني ان يقال لك الحمد كله اى الحمد التام الكامل فهذا مختص

بالله ليس لغيره فيه شركة والتحقيق ان له الحمد بالمعنيين جميعا فله عموم
الحمد وكماله وهذا من خصائصه سبحانه فهو المحمود على كل حال وعلى كل شيء
اكمل حمد واعظمه كما ان له الملك التام العام فلا يملك كل شيء الا هو
وليس الملك التام الكامل الا هو واتباع الرسل يثبتون له كمال الملك وكمال
الحمد فانهم يقولون انه خالق كل شيء وربه ومليكه لا يخرج عن خلقه
وقدرته ومشيئته شيء البتة وله الملك كله الى ان قال فصل والمقصود
بيان شمول حمده سبحانه وحكمته لكل ما يحدثه من احسان ونعمة
وامتحان وبلية وما يقضيه من طاعة ومعصية والله تعالى محمود على
ذلك مشكور حمد المدح وحمد الشكر اما حمد المدح فالله تعالى محمود على
كل ما خلق اذ هو رب العالمين والحمد لله رب العالمين واما حمد الشكر
فلان ذلك كله نعمة في حق المؤمن اذا اقترن بواجبه والاحسان والنعمة
اذا اقترنت بالشكر صارت نعمة والامتحان والبلية اذا اقترنا بالصبر
كان نعمة والطاعة من اجل نعمه واما المعصية فاذا اقترنت بواجبها
من التوبة والاستغفار والانابة والذل والخضوع فقد ترتب عليها من
الاثار المحمودة والغايات المطلوبة ما هو نعمة ايضا وان كان سببها

مسخوطا مبغوضا للرب سبحانه ولكنه يجب ما يترتب عليه من التوبة و الا
الاستغفار الى ان قال والمقصود ان الملك والحمد في حقه متلازمان فكلما
شمله ملكه وقدرته شمله حمده فهو محمود في ملكه وله الملك والقدرة مع
حمده فكما يستحيل خروج شيء من الموجودات عن ملكه وقدرته يستحيل
خروجها عن حمده وحكمته ولهذا يحمد سبحانه نفسه عند خلقه وامره
لينبه عباده على ان مصدر خلقه وامره عن حمده فهو محمود على خلقه وامره
حمد شكر وعبودية وحمد ثناء ومدح ويجمعها التبارك فتبارك الله
يشمل ذلك كله ولهذا ذكر هذه الكلمة عقيب قوله الا له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين فالحمد اوسع الصفات واعم المدائح والطرق الى
العلم به في غاية الكثرة والسبيل الى اعتباره في ذرات العالم وجزئياته
وتفاصيل الامر والنهي واسعة جدا الان جميع اسمائه تبارك وتعالى حمد
وصفاته حمد وافعاله حمد واحكامه حمد وعدله حمد وانتقامه من اعدائه
حمد وفضله في احسانه الى اوليائه حمد والخلق والامر انما قام بحمده ووجد
بحمده وظهر بحمده وكان الغاية هي حمده فحمده سبب ذلك وغايته ومظهره
وحامله فحمده روح كل شيء وقيام كل شيء بحمده وسريان حمده في الموجودات

وظهور اثاره فيه امر مشهود بالابصار والبصائر ثم ذكر الطرق الدالة على
سريان حمده وشموله بتدبر اسمائه وصفاته وافعاله ونعمه واطال في ذلك
جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا

فصل

وهو المكلم عبده موسى بنبك * لم الخطاب وقبله لا بوان
كلماته جلت عن الاحصا والت * عداد بل عن حصر ذي الحسبان
لو ان اشجار البلاد جميعها * اقلام تكتبها بكل بنان
والبحر تلقى فيه سبعة ابحر * لكتابة الكلمات كل زمان
نفدت ولم تنفذ بها كلماته * ليس الكلام من الاله بفان

يعني انه تبارك وتعالى متكلم اذا شاء وكيف شاء ولم يزل ولا يزال بصفة
الكلام موصوفا وبالبر والاحسان معروفا وهو الذي يتكلم بالكلام القدري
الذي يوجد به الاشياء كما قال تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون ويتكلم بكلامه الشرعي الديني الذي منه الكتب التي انزلها الله على
رسله فهو الذي تكلم بها حقا ونزل بها جبريل من عنده صدقا ليست
بمخلوقة بل هي من جملة صفاته تعالى وتكليمه لعباده نوعان نوع بلا

واسطة كما كلم موسى بن عمران قال تعالى وكلم الله موسى تكليما وكما كلم الابوين
ادم وحواء فناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة وكما نادى محمدا صلى الله
عليه وسلم وخاطبه حين اسرى به وكما يخاطب الله اهل الموقف واهل
الجنة في الجنة حين يرونه ويكلمهم ويكلمونه والنوع الثاني تكليمه
لعباده بواسطة اما بالوحي الخاص للانبياء واما بارساله اليهم رسولا
يكلمهم من امره بما شاء وقد ذكر الله هذه الانواع في قوله وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشاء واعلم ان صفة الكلام لله تعالى من صفاته الذاتية من حيث
تعلقها بذاته واتصافه بها ومن صفاته الفعلية حيث كانت متعلقة
بقدرته ومشيئته فاذا كان معلوما ان الله لم يزل ولا يزال كامل القدرة
نافذ المشيئة علم انه لم يزل ولا يزال متكلما اذا شاء لان الكلام من اجل صفات
الكمال التي يستحيل على الله ان لا يوصف بها وكلماته تعالى غير متناهية فلا
تفنى ولا تبيد فلو ان اشجار الارض جميعها من عمرانها وقفارها وبحارها
اقلام والبحر تمده من بعده سبعة ابحر فكتب بتلك الاقلام بذالك المداد
لتكسرت الاقلام ونفد المداد وكلام الله لا يفنى ولا ينفد وذلك أن

المخلوق متناه له غاية وحد صفات الله ليس لها غاية ولا حد قال تعالى وأن وصفا
الى ربك المنتهى وقال تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من
بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم وهذا كله من باب
تقريب المعنى العظيم الواسع الذي لا تدركه الاذهان اليها بهذا المثال الذي
يبهر العقول ولهذا قال المؤلف ليس الكلام من لاله بفان ولم يقدر
الله حق قدره من زعم ان كلامه مخلوق من جملة المخلوقات التي تنتهي
وكيف يكون الوصف المضاف الى الله تعالى مخلوقا يلزم منه ان يكون كلاما
للخلق فاذا كان علم الله وقدرته ونحو ذلك من اوصافه يستحيل ان تقدم
بغير الله وان تكون مخلوقة فكلامه كذلك

وهو القدير فليس يعجزه اذا * ما رام شيئا قط ذو سلطان
وهو القوي له القوى جميعها * لي رب ذي الاكوان

يعني ان الله تعالى القدير كامل القدرة فكلما اراده فعله من غير عجز ولا
معارض له ولا مضاد فاذا اراد ايجاد شيء او اعدامه فلو اجتمعت
الخليقة كلها على معارضته في شيء من ذلك لم يكن لهم قدرة على
معارضته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه

الترمذى وغيره عن ابن عباس انه قال لابن عباس واعلم ان الخلق لو اجتمعوا
على ان ينفعوك بشيئ اى قليل او كثير لم ينفعوك الا بشيئ قدره الله عليك
وقال تعالى ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها وهو القوى الذى له القوة كلها
قال تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فلا حول ولا قوة الا بالله
العلى العظيم فما بالخلق من قوة ظاهرة او باطنة الا من الله تعالى قال تعالى ان
الله على كل شيئ قدير وقال تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون وقال تعالى فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا
قوة اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة فمن قوته وقدرته خلق
السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وانه خلق الخلق ثم يميتهم ثم يحييهم
بعد ما يفرقهم البلى بل خلقهم وبعثهم عليه كنفس واحدة ما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وقال
تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ومن قدرته انه يحى
الارض الهامدة اليابسة بعد موتها قال تعالى ومن اياته انك ترى الارض
خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحى الموتى
انه على كل شيئ قدير ومن اثار قدرته ما فعله بالامم المكذبين من انواع العقوبات

وحلول

وحلول المثلات وانهم لم يغن عنهم كيدهم ولا مكرهم ولا اموالهم وأولادهم
وجنودهم وحصونهم من عذاب شيئا قال تعالى الم يأتكم نبأ الذين من
قبلكم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤتفكات
أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون وقال تعالى فى سورة الشعراء بعد كل قصة يذكر فيها نجاة
الرسل واتباعهم واهلاك من كذبهم ان فى ذلك لآية اى على كمال
رحمته التى منها انجاء المؤمنين وعلى كمال عزته وقدرته حيث أباد
المكذبين ولهذا قال وان ربك لهو العزيز الرحيم ومن تمام قدرته
وشمولها انه كما انه هو الخالق للعباد فهو خالق اعمالهم وطاعاتهم ومعاصيهم
وهى ايضا افعالهم فهى تضاف الى الله خلقا وتدبيرا وتضاف اليهم
فعلا ومباشرة على الحقيقة من غير منافات ولا مناقضة فان
الاعمال يضيفها الله اليهم وينسبها لهم وهم الفاعلون لها وهذا
معروف عقلا وشرعا وحسا والله خالق قدرتهم ومشيئتهم التى
لا يوجد فعل الا بهما وخالق السبب التام خالق للمسبب قال تعالى
والله خلقكم وما تعملون وقال تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم وما

تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين فاثبت لهم مشيئة وفعلا
وذكر ان مشيئتهم تابعة لمشيئته وارادته ومن اثار قدرته
ورحمته نصره لاوليائه على قلة عددهم وعددهم بالنسبة الى اعدائهم
قال تعالى وان جندنا لهم الغالبون وقال تعالى كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله وقال تعالى انا لننصر رسلنا والذين
آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ومن اثار قدرته ورحمته
ما يحدثه لاهل النار واهل الجنة من انواع العذاب واصناف النعيم
المستمر الكثير المتتابع الذي لا ينقطع ولا يتناهى وقد اخبر عن كثير من
الاشياء انه قادر على فعلها ولكنه لا يفعلها لان الحكمة تقتضي عدم
ايجادها قال تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم
او من تحت أرجلكم او يلبسكم شيعا قل لو شاء الله ما تلوته عليكم
ولا ادراكم به ولو شاء لهداكم اجمعين فقدرة الله تعالى لا يستعصى
عليها شيء ان ربك فعال لما يريد

وهو الغني بذاته ففناه ذا ✻ تم له كالجود والاحسان

قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فهو

تعالى الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه وفي الاعتبارات
لكماله وكمال صفاته بحيث لا يتطرق اليها نقص بوجه من الوجوه ولا
يمكن ان يكون الا غنيا لان غناه من لوازم ذاته فكما لا يكون الا خالقا
رازقا محسنا جوادا كريما رحيما فلا يكون الا غنيا عن الخلق لا يحتاج
اليهم بشيء من الاشياء بل هم الفقراء اليه في جميع امورهم لا يستغنون
عن احسانه وكرمه وتدبيره طرفة عين ومن كمال غناه أن
خزائن السموات والارض بيده وان جوده على خلقه متواصل في جميع
اللحظات والانفاس وان يديه سحاء الليل والنهار ارأيتم ما انفقوا
منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما في يمينه ومن كمال
غناه ان يدعو عباده الى سؤاله ويعدهم بالاجابة ويؤتيهم من كل ما
سألوه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما بكم من نعمة فمن الله
ومن كمال غناه انه لو اجتمع اهل السموات والارض وأول الخلق
واخرهم وانسهم وجنهم في صعيد واحد فسأله كل واحد منهم ما بلغت
أمنيته ما نقص ذلك من ملكه شيئا الا كما ينقص البحر اذا غمس فيه
المخيط ذلك بانه جواد ماجد واجد عطاؤه كلام وعذابه كلام انما امره

اذا اراد شيئا قال له كن فيكون ومن كمال غناه وسعة عطاياه
مايبسطه على اهل داركرامته من اللذات المتتابعات والشهوات
المتواصلات مما لاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر
فهو الغنى بذاته المغنى لجميع مخلوقاته ومن غناه انه لم يتخذ صاحبة
ولا ولدا ولاشريكا ولاعونا قال تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه
هو الغنى له ما فى السموات والارض وقال تعالى وانه لهو اغنى واقنى

تبارك وتعالى وتقدس

وهو العزيز فلن يُرام جنابه * الى يرام جناب ذى السلطان
وهو العزيز القاهر الغلاب لم * يغلبه شيئ هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هى وصفه * فالعز حينئذ ثلاث معان

هذه الابيات الثلاثة مشتملة على معنى اسمه العزيز فذكر له ثلاث معان
الاول العزيز بمعنى الممتنع الذى لايرام جنابه لعظمة سلطانه وجليل
كبريائه قال تعالى فى الحديث يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى
ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى والمعنى الثانى انه العزيز بمعنى القاهر لكل
شئ الذى قهر جميع الاشياء فما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ولا حول

ولا قوة الا بالله العلى العظيم فلا يتحرك متحرك الا باذنه ولا يسكن ساكن الا
بمشيئته فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن فهو الذى قهر كل شئ وذل له كل حى
ونفذت ارادته فى كل شئ والمعنى الثالث انه العزيز بمعنى القوى المتين
فله القوة الكاملة التى لا عجز فيها ولا نقص بوجه من الوجوه فصار معنى العزيز
بمعنى القوى الممتنع القاهر قال تعالى ان العزة لله جميعا وقال وهو العزيز
الحكيم فأل تفيد الاستغراق والعموم لجميع معانى العز ولهذا قال المؤلف

وهى التى كملت له سبحانه * من كل وجه عادم النقصان

اى هذه المعانى الثلاثة قد كملت لله من جميع الوجوه فلا نقص بشئ منها

وهو الحكيم وذاك من أوصافه نوعان ايضا فاهما عدمان
حكم واحكام فكل منهما نوعان ايضا ثابت البرهان
والحكم شرعى وكونى ولا يتلازمان وكلاهما ساى فاعلم
بل ذاك يوجد دون هذا مفردا والعكس ايضا ثم يجتمعان
لن يخلق المربوب من احداهما اومنهما بل ليس ينتفيان
لكنما الشرعى محبوب له أبدا ولن يخلو من الاكوان
هو امره الدينى جاءت رسله بقيامه فى سائر الازمان

لكنما الكوني فهو قضاؤه * في خلقه بالعدل والاحسان
هو كله حق وعدل ذو رضى * والشان في المقضي كل الشان
فلذاك نرضى بالقضا ونسخط المـ * ـقضي حين يكون بالعصيان
فالله يرضى بالقضاء ويسخط المـ * ـقضي ما الامران متحدان
فقضائه صفة به قامت وما المـ * ـقضي الاصنعة لانسان
والكون محبوب ومبغوض له * وكلاهما بمشيئة الرحمن
هذا البيان يزيل لبسا طالما * هلكت عليه الناس كل زمان
ويحل ما قد عقدوا باصولهم * ويجوثهم فافهمه فهم بيان
من وافق الكوني وافق سخطه * اولم يوافق طاعة الرحمان
فلذاك لا يعدوه ذما او فما * ت الحمد مع اجر ومع رضوان
وموافق الديني لا يعدوه اجـ * ـر بل له عند الصواب اثنان

اطال المؤلف رحمه الله الكلام على هذا الاسم المبارك الحكيم لاقتضاء الحال للاطالة والبسط فانه كما قال في آخر هذا الكلام هذا البيان يزيل لبسا الى آخر ما ذكره فذكره الحكيم من اوصاف الله تعالى نوعان احدهما حكم والثاني احكام وكل واحد منهما نوعان فتصير الاقسام اربعة حكم قدري كوني

كوني وحكم شرعي ديني وحكمة في خلقه وحكمة في امره فذكر ان الحكم القدري والحكم الشرعي لا يتلازمان اي لا يلزم في وجود احدهما وجود الاخر ومن علامه عدم الاخر كما هو شان كل متلازمين بل قد يوجد الشرعي دون القدري وقد يوجد القدري دون الشرعي وقد يجتمعان ولكنهما لا يرتفعان اي لا يفقدان كلاهما ولهذا قال لن يخلو المربوب اي المخلوق وهذا شامل للمخلوقات كلها اي لن يخلو شيء من المخلوقات من احد الحكمين او منهما بل ليس ينتفيان اي لا يعدمان فيصير المربوب خاليا منهما فان هذا محال وبيان ذلك ان الحكم الشرعي هو الحكم الذي تعلقت به محبة الله تعالى وهو الحكم الذي شرعه وحكم به على السنة رسله ودعوا اليه العباد فقام به من استجاب لهم واذا وجد الحكم الشرعي فلا فانه لا يخلو من الاكوان اي لا يخلو من الحكم القدري وذلك ان الايمان والطاعات الصادرة من المؤمنين بقضاء الله وقدره وتوفيقه فاذا وجدت الطاعات وجد الحكمان معا واذا وجد الكفر والفسوق والعصيان وجد الحكم القدري لكونها واقعة بقضاء الله وقدره دون الحكم الشرعي لعدم تعلق الامر والمحبة بها واذا كان الامر بالخير والايمان والطاعة موجودا ولم يقم به من أمر

به كان الحكم الشرعي موجودا لوجود الامر دون القدري فانه لو وجد لحصلت فانه
ما شاء الله كان فالحكم الكوني هو قضاؤه على خلقه بالعدل والاحسان اي لان
افعاله تعالى لا تخلو من هذين الامرين اما احسان ونعم واما عدل وهو تقديره ما
يقدره من وقوع الشر من اهل الشر ومن عقوباتهم في الدنيا والاخرة فانه عدل يحمد
عليه لموافقته الحكمة ووضعه العقوبة مواضعها وذكر المصنف رحمه الله الفرق
بين القضاء والمقضي وان القضاء وصف لله تعالى وفعله الذي يتعين الرضا
به لكونه غير خارج عن العدل والفضل وان المقضي صفة الانسان وفعله
وذلك ينقسم الى قسمين محمود ومذموم فيرضى بالمحمود من المقضي كالطاعات
والايمان والصادر من اهل الخير ويسخط المذموم من ذلك كالمعاصي الواقعة
من فاعليها وذلك كله موافقة لمحبة الله وكراهته فان الله يرضى ويحب من
عباده الايمان والشكر وانواع الخير ويكره منهم الكفر والمعاصي فالكون بالنسبة
الى الحكم الشرعي ينقسم الى قسمين محبوب لله ومبغوض له وبالنسبة الى الحكم
القدري كله واقع بمشيئة الله وقدرته ولهذا قال وكلاهما بمشيئة الرحمن
فبهذا التفصيل الذي ذكره المصنف ينكشف الامر ويتضح ويزيل لبسا اي
اختلاطا واشتباها طالما هلكت عليه منذ زمان بسبب اشتباه

الحق بالباطل وعدم تمييز الامور وتفصيلها فان كثيرا من المتكلمين اصلوا
لهم اصولا فاسدة ينبني عليها عقائد باطلة كما قرر كثير من اهل التصوف
واهل الكلام ان الحكم القدري مرادف للحكم الديني وان الله يحب كل ما قدره
وقضاه وهذا من اعظم الباطل واشده فانه يتضمن التسوية بين الابرار و
الفجار وبين البر والفجور ويلزم منه ابطال الشرع وعذر من ظلم وعصى
لانه موافق للقضاء والقدر وهذا التكذيب لله ولكتبه ورسله ولهذا
قال المصنف هذا البيان يزيل لبسا طالما هلكت عليه الناس منذ
زمان اي بسبب اختلاط الحق بالباطل ويحل ما قد عقدوا من الاغلال
والعقائد الباطلة باصولهم التي بنوها وبحثوا عنها التي هي نتائج آرائهم
الفاسدة وعقولهم الضعيفة ومقاصدهم السيئة فافهم فهم بيان
الامر موضع مهم خطر لا يكاد يوجد هذا التفصيل بغير كتب المصنف وشيخه
شيخ الاسلام ابن تيمية اذا تقرر ما تقدم من ان الاحكام نوعان احكام
قدرية موافقة للقضاء والقدر وان لم توافق محبة الله واحكام
دينية موافقة للمحبة والامر الديني وان لم يوجد معها الحكم القدري وانهما
قد يجتمعان او ينفرد احدهما فمن وافق في فعله وقوله ونيته الحكم القدري

وحده بان لا يكون ما فعله او قاله او نواه محبوبا لله فانه لا يخلو اما ان يوافق سخط
اى سخط الله اذا كان ذلك معصية واما ان لا يوافق مرضات وذلك اذا كان
ما فعله امرا مباحا غير طاعة ولا معصية فلذلك لا يعد وه ذما اذا كان
معصية او فوات لاجر ان كان مباو موافق الدينى وهو الذى امتثل ما امر
الله به واجتنب ما نهى عنه بحسب قدرته وامكانه لا يعد وه اجر ان
اجتهد فاخطأ الحق بل له عند الصواب اى اذا اجتهد فاصاب اثنان اى
اجران كما قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران
واذا اجتهد فاخطأ فله اجر لان نيته الحق وسعى لتحصيله وذلك عمل
صالح ولكن فاته ادراكه بغير تفريط منه وحاصل ما ذكره المصنف
فى هذا الفصل ان الحكم هو من له الحكم وله الاحكام وان الحكم نوعان حكم
كونى شامل لجميع ما قدره الله وقضاه وكونه من خير وشر وحكم دينى
مختص بما يحبه الله ويرضاه وان وجد منه الخير بالفعل اجتمع فى
حقه الحكمان معا ومن وجد فى حقه الشر بالفعل انفرد فى حقه الحكم الكونى
لانه بقضاء وقدر والله لا يحب الشر والفساد ومن توجه اليه الامر
الدينى فلم ينفذ له وجد فيه فى تلك الحال الحكم الدينى لانه وجه اليه

ولم يوجد الحكم القدرى لانه لم ينفذ له ولو شاء الله لفعله وان القضاء
غير المقضى فالقضاء فعل الله يجب الرضاء به من غير تفصيل لانه عدل واحسان
لا يخرج عن الحمد والحكمة والمقضى فعل العبد وفى الرضا به تفصيل فان كان خيرا او
طاعة وايمانا تعين الرضا به ومحبته وان شرا او معصية وكفرا تعينت
كراهته وان لم يكن لا خيرا ولا شرا لم يتعين فيه الرضا ولا الكراهة ثم
ذكر الاحكام والحكمة فقال

فصل

والحكمة العليا على نوعين ايـ ※ضا حصلا بقواطع البرهان
احداهما فى خلقه سبحانه ※ نوعان ايضا ليس يفترقان
احكام هذا الخلق اذ ايجاده ※ فى غاية الاحكام والاتقان
وصدوره من اجل غايات له ※ وله عليها الحمد كل لسان
والحكمة الاخرى فحكمة شرعه ※ ايضا وفيها ذانك الوصفان
غاياتها اللائى حمدن وكونها ※ فى غاية الاتقان والاحسان

هذا النوع الثانى مما يدل عليه اسم الله الحكيم وهو ان له الحكمة التامة فى
فى خلقه وامره وحكمته علياء لا يشابهها شئ فليس كمثله شئ فى جميع

نعوته التي من جملتها الحكمة والحكمة في خلقه على نوعين احدهما انه احكم
جميع ما خلقه واتقنه باحسن خلق واتم نظام لا يمكن احدا من الخلق
ان يقترح احسن منه ولا يرى فيه عيبا فكلما خلقه فهو محكم متقن
لم يخلق شيئا عبثا ولا خلق شيئا معيبا قال تعالى وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فهم الذين يظنون بالله
الظن السوء الذي من جملته انه يخلق شيئا لغير فائدة ولا مصلحة وقال
تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقال الذي
احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين وقال تعالى لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال تعالى ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب ونحوها من
الايات التي يحث الله بها العباد الى النظر والتفكر في المخلوقات لاشتمالها
على الحكم البالغة والنعم السابغة وانها سالمة من كل عبث وعيب
قال تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر
خاسئا وهو حسير لم ير خللا ولا نقصا بل يرى جميع العالم على اتم

نظام

نظام واكمل خلق واحسنه فهذا نوع من انواع الحكمة في الخلق وهو
انها كلها محكمة متقنة نشاهد حكمتها بالابصار والبصائر ويخفى
اكثرها فيستدل بما علم منها على ما لم يعلم والنوع الثاني انها مخلوقة
ومقصود بها مقصود عظيم فخلقها الله تعالى ليستدل بها العباد على ما لله من
صفات الكمال وما له من جميل الفعال وهذه غايات يحمد عليها المتضمنها
ظهور اثار اسمائه وصفاته ومعرفة العباد لها وايضا خلق الله السموات
والارض وما بينهما بالحق فهي مخلوقة بالحق وللحق ومن ذلك انه ليجازي المحسن
باحسانه والمسيء باسائته وخلق الله المكلفين ليعرفوه ويعبدوه ويطيعوه
لاجل ان يجازيهم باعمالهم قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال
تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن
لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ففي هاتين
الايتين الاخبار من ان الغاية لخلق السموات والارض والجن والانس وانزال
الشرائع على الانبياء لاجل ان يعرفوا الله باسمائه وصفاته ويعبدوه بمقتضى ذلك
قال تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى اي مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا
يثاب ولا يعاقب فان هذا ظن فاسد لانه يتضمن العبث في افعاله تعالى وهو

منزه عن ذلك ثم قرر ذلك بدليل عقلي فقال الم يك نطفة من منى يمنى ثم
كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر
على ان يحيي الموتى فالذي نقل الانسان بهذه الاطوار المتنوعة حتى اوصله الى
ما وصل اليه لا يليق به ان يهمله ويعطله عن امره ونهيه وثوابه وعقابه
ونظير هذا قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى
الله اى تنزه عن هذا الحسبان الباطل المنافي لملكه وحمده وكماله ولهذا قال
الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم فان الملك الحق لا بد ان يأمر وينهى
ويثيب ويعاقب ويجازي المحسن باحسانه والمسيئ باسائته وقال تعالى
منزها نفسه عن ظن من ظن انه يترك خلقه سدى لا يرسل اليهم رسولا
ولا ينزل عليهم كتابا وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من
شيء الى غير ذلك من النصوص الدالة على هذا الاصل الكبير وهو ان افعاله تعالى
كلها محكمة متقنة لا عيب فيها ولا خلل وانه فعل ما فعله لغايات محمودة ومقاصد
سديدة ثم ذكر الحكمة الاخرى في شرعه وانها على نوعين ايضا احدهما انها في
غاية الاحكام والاتقان ويكفي في هذا الموضع معرفة القاعدة العامة وهي ان
الاوامر والنواهي تبع للمصالح والمنافع فعلا وتركا فكل امر مشتمل على المصلحة

الخالصة

الخالصة او المصلحة الراجحة فانه مأمور به وكل امر مشتمل على مفسدة خالصة
او راجحة فانه منهي عنه ويدل على هذا قوله تعالى في وصف النبي صلى الله عليه
وسلم يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث فالمعروف الذي يأمر به هو ما عرف حسنه شرعا وعقلا وذلك ما ترجحت
مصلحته وفائدته في القلب والبدن والدنيا والاخرة والمنكر الذي ينهى عنه
هو ما عرف قبحه شرعا وعقلا وذلك ما ترجحت مضرته في الدنيا والاخرة
والقلب والبدن والطيبات التي احلها كل ما كل ومشروب وملبوس
ومنكوح وصفه الطيب والمنفعة الذي يضطرا ويحتاج اليه والخبيثات
التي حرمها ضد ذلك وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الاثم والعدوان فالبر والتقوى الذي امر الله بفعله والتعاون عليه
كل عمل صالح وخلق فاضل وفعل رشيد وقول سديد من الاخلاص لله
تعالى والصدق وحسن الخلق وصلة الارحام وبر الوالدين والاحسان
الى عموم الخلق والعدل بينهم وسلامة الصدر والنصح للخلق والتأدب
بالاداب الحسنة والرفق واللين والسماحة وغير ذلك مما حث الشرع عليه
وضد ذلك النهي عن الكبر والتجبر على الخلق والكذب والرياء وعقوق

الوالدين

الوالدين وقطيعة الارحام وظلم الخلق في دمائهم واموالهم واعراضهم
وسوء الخلق وغير ذلك من مساوى الاخلاق ومن احكام الامر والنهى
ان شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم صالحة لكل زمان ومكان فكل
وقت ومحل يحتاج اليها فيه بل لا تصلح الدنيا والاخرة الا بالعمل بها وهذا
كانت من اعظم الادلة على كمال من انزلها وعلمه وحكمته وصدق رسوله
صلى الله عليه وسلم ولهذا كان خاتم الانبياء فلا نبي بعده قال تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا
والنوع الثاني من حكمة الامر ان الله امر ونهى وشرع الشرائع ليبتلي
عباده المطيع منهم والعاصي والصادق والكاذب وليقوم سوق الجهاد
والعبادات التي يحبها ويرضاها ولتتنور القلوب بمعرفته والالسنة بذكره
والاعضاء بطاعته وليثيب المطيعين من فضله وكرمه مما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وليتم عليهم فضله واحسانه الى غير
ذلك من الغايات والحكم التي شرع الله الشرائع لاجلها قال المصنف رحمه الله
في بدائع الفوائد فتأمل اسرار كلام رب العالمين وما تضمنه ايات
الكتاب المجيد من الحكمة البالغة الشاهدة بانه كلام رب العالمين والشاهدة

لرسوله

لرسوله الصادق المصدوق وهذا كله من مقتضى حكمته وحمده تعالى وهو معنى
كونه خلق السموات والارض وما بينهما بالحق ولم يخلق ذلك باطلا بل خلقه
خلقا صادرا عن الحق آيلا الى الحق مشتملا على الحق فالحق سابق لخلقها مقارن
له غاية له ولهذا اتى بالباء الدالة على هذا المعنى دون اللام المفيدة للغاية
فالباء مفيدة معنى اشتمالها على الحق السابق والمقارن واللغاية فالحق السابق
صدور ذلك عن علمه وحكمته فصدر خلقه تعالى وامره عن كمال علمه وحكمته
وبكمال هاتين الصفتين يكون المفعول الصادر عن الموصوف بهما حكمة كلية
ومصلحة وحق ولهذا قال تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم فاخبر
عن مصدر المتلقى عن علم المتكلم وحكمته وما كان كذلك كان صدقا
وعدلا وهدى وارشادا وكذلك قالت الملائكة لامرأة ابراهيم حين قالت يا
ويلتى أألد وانا عجوز قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم وهذا راجع
الى قوله وخلقه وهو خلق الولد لهما على الكبر وأما مقارنة الحق لهذه
المخلوقات فهو ما اشتملت عليه من الحكم والمصالح والمنافع والايات الدالة
للعباد على الهيتهم ووحدانيته وصفاته وصدق رسوله وان لقائه حق
لا ريب فيه ومن نظر في الموجودات ببصيرة قلبه رآها كالاشخاص

الشاهدة الناطقة بذلك بل شهادتها اتم من شهادة الخبر المجرد لانها شهادة
حال لا تقبل كذبا فلا يتأمل العاقل المستبصر مخلوقا حق تأمل الا وجده
شاهدا دالا على فاطره وباريه وعلى وحدانيته وعلى كمال صفاته واسمائه
وعلى صدق رسله وعلى ان لقاءه حق لا ريب فيه وهذه طريقة القرآن
في ارشاد الخلق الى الاستدلال باصناف المخلوقات واحوالها على اثبات
الصانع وعلى التوحيد والمعاد والنبوات فمرة يخبر انه لم يخلق خلقه باطلا
ولا عبثا ومرة يخبر انه خلقهم بالحق ومرة يخبرهم وينبههم على وجوه
الاعتبار والاستدلال بها على صدق ما اخبرت به رسله حتى يتبين لهم
ان الرسل انما جاؤهم بما يشاهدون ادلة صدقه وبما لو تأملوه لوجدوه
مركوزا في فطرهم مستقرا في عقولهم وانما يشاهدونه من مخلوقاته
شاهدا بما اخبرت به عنه رسله من اسمائه وصفاته وتوحيده ولقائه
ووجود ملائكته وهذا باب عظيم من ابواب الايمان انما يفتحه الله على من
سبقت له من الله سابقة السعادة وهذا اشرف علم يناله العبد في
هذه الدار وقد بينت في موضع اخر ان كل حركة شاهدة على اختلاف
انواعها فهي دالة على التوحيد والنبوات والمعاد بطريق سهلة واضحة

برهانية

برهانية وكذلك ذكرت في رسالة الى بعض الاصحاب بدليل واضح ان الروح
مركوز في اصل فطرتها وخلقها شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسوله
وان الانسان لو استقصى التفتيش لوجد ذلك مركوزا في نفس روحه
وذاته وفطرته فلو تأمل العاقل الروح وحركتها فقط لاستخرج منها الايمان
بالله وصفاته والشهادة بانه لا اله الا الله والايمان برسله وملائكته
ولقائه وانما يصدق بهذا من اشرقت شمس الهداية على افق قلبه وانجابت
عنه سحائب غيه وانكشف عن قلبه حجاب انا وجدنا آبائنا على
امة وانا على اثارهم مقتدون فهنالك

(يبدو سرطان عنه اكتمامه * ويلوح له صباح هو ليله وظلامه)

فقف الآن على كل كلمة من قوله تعالى ان في السموات والارض لايات
للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف
الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد
موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون ثم
تامل وجه كونها وعلى ماذا حملت اية على مطلوب واحد من مطالب
متعددة وكذلك سائر القرآن من هذا النمط كآخر آل عمران وقوله في

في آخر سورة الروم ومن آياته الى آخرها وقوله في سورة النمل قل الحمد لله
وسلام على عباده الذين اصطفى الى آخر الايات واضعاف اضعاف ذلك
في القران وكقوله في سورة الذاريات وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم
افلا تبصرون وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها
معرضون فهذا كله من الحق الذي خلقت به السموات والارض وما بينهما
وهو حق مقارن لوجود هذه المخلوقات مسطور في صفحاتها يقراه كل
مؤمن كاتب وغير كاتب كما قيل

تأمل سطور الكائنات فانها * من الملك الاعلى اليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها * الا كل شيء ما خلا الله باطل

وأما الحق الذي هو غاية خلقها فهو غاية تراد من العباد وغاية تراد
بهم فالتي تراد منهم ان يعرفوا الله تعالى وصفات كماله تعالى وان يعبدوه لا
يشركون به شيئا فيكون وحده هو الههم ومعبودهم ومطاعهم ومحبوبهم
قال الله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر
بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما
فاخبر انه خلق العالم ليعرف عباده كمال قدرته واحاطة علمه وذلك

يستلزم

يستلزم معرفته ومعرفة اسمائه وصفاته وتوحيده وقال تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون فهذه الغاية هي المراد من العباد وهي
ان يعرفوا ربهم ويعبدوه وحده فاما الغاية المراد بهم فهي الجزاء
بالعدل والفضل والثواب والعقاب قال تعالى ولله ما في السموات وما
في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
وقال تعالى ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى وقال
تعالى ليبين لهم الذي اختلفوا فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين
وقال تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم
استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم
فاعبدوه افلا تذكرون الى قوله بما كانوا يكفرون فتأمل الآن كيف اشتمل
خلق السموات والارض على الحق اولا وآخرا ووسطا وانها خلقت بالحق
وللحق وشاهدة بالحق وقد انكر تعالى على من زعم خلاف ذلك فقال تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق
لا اله الا هو رب العرش الكريم وتأمل ما في هذين الاسمين وهما الملك الحق من
ابطال هذا الحسبان الذي ظنه اعداؤه اذ هو مناف لكمال ملكه ولكونه

الحق اذ الملك الحق هو الذى له الامر والنهى فيتصرف فى ملكه بقوله وأمره
وهذا هو الفرق بين الملك والمالك اذ المالك هو المتصرف بفعله والملك هو
المتصرف بامره والرب تعالى مالك الملك فهو المتصرف بفعله وامره فمن ظن
انه خلق خلقه عبثا لم يأمرهم ولم ينههم فقد طعن فى ملكه ولم يقدره حق
قدره كما قال تعالى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر
من شيء ومن جحد شرع وامره ونهيه وجعل الخلق بمنزلة الانعام المهملة
فقد طعن فى ملك الله ولم يقدره حق قدره وكذلك قوله الحق ووعده الحق
يقتضى كمال ذاته وصفاته واسمائه ووقوع افعاله على اكمل الوجوه واتمها فكما ان
ذاته الحق ففوله الحق ووعده الحق وامره الحق وافعاله كلها حق وجزاءه المستلزم
لشرعه ودينه واليوم الاخر حق فمن انكر شيئا من ذلك فما وصف الله تعالى
بانه الحق المطلق من كل وجه ف بكل اعتبار فكونه حقا يستلزم شرعه و
دينه وثوابه وعقابه فكيف يظن بالملك الحق ان يخلق خلقه عبثا وان يتركهم
سدى لا يامرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم كما قال تعالى ايحسب
الانسان ان يترك سدى قال الشافعى مهملا لا يؤمر ولا ينهى وقال غيره لا
يجزى بالخير والشر ولا يثاب ولا يعاقب والقولان متلازمان فالشافعى ذكر

سبب

سبب الجزاء والثواب والعقاب وهو الامر والنهى والاخر ذكر غاية الامر والنهى
وهو الثواب والعقاب ثم تامل قوله بعد ذلك الم يك نطفة من منى يمنى ثم
كان علقة فخلق فسوى فمن لم يتركه وهو نطفة سدى بل قلب النطفة وصرفها
حتى صارت اكمل مما هى وهى العلقة ثم قلب العلقة فصارت اكمل مما هى حتى
خلقها فسوى خلقها فدبرها بتصريفه وحكمته فى اطوار كمالاتها حتى انتهى
كمالها بشرا سويا فكيف يتركه سدى لا يسوقه الى غاية كماله الذى خلق له فاذا
تأمل العاقل البصير احوال النطفة من مبدئها الى منتهاها دلته على المعاد
والنبوات كما تدله على اثبات الصانع وتوحيده وصفات كماله فكما يدل احوال
النطفة من مبدئها الى غايتها على كمال قدرة فاطر الانسان وباريه كذلك يدل
على كمال حكمته وعلمه وملكه وانه ملك الحق المتعالى عن ان يخلقها عبثا ويتركها
سدى بعد كمال خلقها وتأمل كيف زعم اعداؤه الكافرون انه لم يأمرهم
وينههم على السنة رسله وانه لا يبعثهم للثواب والعقاب كيف كان
هذا الزعم منهم قولا بان خلق السموات والارض باطل فقال تعالى وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذى كفروا فويل للذين كفروا من
النار فلما ظن اعداؤه انه لم يرسل اليهم رسولا ولم يجعل لهم اجلا للقائه كان

ذلك ظنا منهم انه خلق خلقه باطلا ولهذا اثنى على عباده المتفكرين فى مخلوقاته
بانهم وصلهم فكرهم فيها الى شهادتهم بانه تعالى لم يخلقها باطلا وانهم لما علموا
ذلك وشهدوا به علموا ان خلقها يستلزم امره ونهيه وثوابه وعقابه فذكروا
فى دعائهم هذين الامرين فقالوا ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب
النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار فلما
علموا ان خلق السموات والارض يستلزم الثواب والعقاب تعوذوا بالله من
عقابه ثم ذكروا الايمان الذى اوقعهم عليه فكرهم فى خلق السموات والارض فقالوا
ربنا اننا سمعنا منادیا ینادی للایمان ان آمنوا بربكم فامنا فكانت ثمرة فكرهم فى
خلق السموات والارض الاقرار بربه تعالى وبوحدانيته وبدينه وبرسله وبثوابه
وعقابه فتوسلوا اليه بايمانهم الذى هو من اعظم فضله عليهم الى مغفرة ذنوبهم وتكفير
سيئاتهم وادخالهم مع الابرار الى جنته التى وعدوها وذلك تمام نعمته عليهم
فتوسلوا بانعامه عليهم اولا الى انعامه عليهم آخرا وتلك وسيلة بطاعته
الى كرامته وهى احدى الوسائل اليه وهى الوسيلة التى امرهم فيها فى قوله يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة واخبر ان خاصة عباده انهم
يبتغون الوسيلة اليه اذ يقول تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم

الوسيلة ايهم اقرب على ان فى هاتين الآيتين اسرارا بديعة ذكرتها فى كتاب
التحفة المكية فى بيان الملة الابراهيمية فاثمر لهم فكرهم الصحيح فى خلق السموات والارض
انه لم يخلقهما عبثا باطلا واثمر لهم الايمان بالله وبرسوله ودينه وشرعه وثوابه
وعقابه والتوسل اليه بطاعته والايمان به وهذا الذى ذكرناه فى هذا الفصل
قطرة من بحر لا ساحل له فلا تستطله فانه كنز من كنوز العلم لا يلائم كل نفس ولا
يقبله كل محروم والله يختص برحمته من يشاء انتهى كلامه رحمه الله وهو كما ذكره
فى غاية النفاسة ويوضح هذا البحث توضيحا تاما واذا شئت ان تعرف تفاصيل
الحكمة فى الشرع فاعتبر المسائل مسئلة مسئلة فانك تجدها فى غاية الاتقان والاحكام
وهى اعلا درجات الحكمة والمصلحة ولهذا كان الفقهاء والمتكلمون على الاحكام الشرعية
يعللونها بالمصالح والحكم والمناسبات فلو كان الامر والنهى والتحليل والتحريم غير
تابع للحكمة لم يكن فائدة فى تعليل الاحكام ولا احتجاج بها عليها ومن اراد التوسع
فى بيان حكمة الله فى شرعه وقدره اجمالا وتفصيلا وتأصيلا فعليه بكتاب
مفتاح دار السعادة للمصنف رحمه الله فانه بسط الكلام فيه بسطا شافيا وفيما
نبهنا عليه من ذلك كفاية والله اعلم

فصل

وهو الحي فليس يفضح عبده * عند التجاهر منه بالعصيان
لكنه يلقى عليه ستره * فهو الستير وصاحب الغفران

هذا مأخوذ من الحديث الذى رواه الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله حيي ستير يستحي من عبده اذا مد يديه اليه ان يردهما صفرا
وهذا من رحمته وكرمه وكماله ان العبد يجاهره بالعصيان وهو الفقير الى ربه
فى غاية الافتقار حتى انه لا يمكنه ان يفعل معصية الله الا بالتقوى عليها بنعم
ربه فيستحي ربه الكريم الرؤف الرحيم من هتكه وفضيحته واحلال
العقوبة عليه فيستره بما يقيض له من اسباب الستر مما لا يخطر على البال
ويعفو عنه ويغفر له ذنوبه فهو يتحبب الى عباده بالنعم وهم يتبغضون اليه
بالمعاصي خيره اليهم نازل بعدد اللحظات وشرهم اليه صاعد ولا يزال
الملك الكريم يصعد اليه منهم بعمل قبيح ويستحي تبارك وتعالى ممن شاب
فى الاسلام ان يعذبه وممن عيد اليه يديه ان يردهما من غير شيء يليق يدعو
العباد الى دعائه ويعدهم بالاجابة وهو الحيي الستير يحب أهل الحياء والستر
ومن ستر مسلما ستر الله عليه فى الدنيا والاخرة وهذا يكره من عبده اذا فعل

معصية

معصية ان يذيعها بل يتوب اليه فيما بينه وبينه ولا يظهرها للناس وان
من امقت الناس اليه من بات عاصيا والله يستره فيصبح يكشف ستر
الله عليه وقال تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم
عذاب اليم فى الدنيا والاخرة وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الله يخلو بعبده المؤمن يوم القيامة فيقرره بذنوبه حتى اذا ظن انه قد هلك
قال انى سترت عليك فى الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته ومن
العجب ان الكريم يستحي من فضيحة عبده والظالم الجاهل لا يستحي من ربه
بل لا يزال دائما فى معصيته متبعا لسخطه يدعوه ربه الى بابه فيشرد عنه
ويدعوه عدوه الى ولايته فيلبى دعوته قد اقبل على عدوه الذى يشقى بطاعته
فى الدنيا والاخرة وتولى عن وليه الذى كل السعادة فى الاقبال عليه والاشتغال
بخدمته وكل الارباح فى معاملته أفتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم
لكم عدو بئس للظالمين بدلا ولما كان ترك الحق وترك بيانه على اى حال
كان لا يكون من الحياء المحمود اخبر تعالى انه لا يستحي من الحق فقال والله
لا يستحي من الحق وقال ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها
وذلك لان بيان الحق لعباده باى طريق كان من اجل نعمه عليهم

وهو الحليم فلا يعاجل عبده * بعقوبة ليتوب من عصيان

وهو العفو فعفوه وسع الورى * لولاه غار الارض بالسكان

يعني انه تعالى الحليم الذي له الحلم الكامل العفو الذي له العفو الشامل ومتعلق هذين الوصفين الكريمين معصية العاصين وذنوب المجرمين فان الذنوب في الاصل تقتضي ترتب اثارها عليها من العقوبات العاجلة فحلمه تعالى يقتضي امهال العاصين وعدم معاجلتهم بالعقوبة ليتوبوا من عصيانهم وعفوه تعالى يقتضي مغفرة ما صدر منهم من الذنوب خصوصا اذا اتوا باسبابها من الاستغفار والتوبة النصوح فان حلمه تعالى وعفوه وسعا اهل السموات والارض فلو لا حلمه وعفوه لغارت الارض بسكانها قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وقال تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا وهو تعالى عفو يحب العفو ويحب من عباده ان يجتهدوا في تحصيل اسباب عفوه من السعي في مرضاته على الدوام والعفو عن زلات العباد وقالت عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ان وافقت ليلة القدر فبم ادعو فقال قولي

اللهم

اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني رواه مسلم فمن سامح عباد الله سامحه الله ومن عفى عنهم عفى الله عنه ومن كماله تعالى ان عفوه مقرون بالقدرة فيعفو عن قدرة لا كمن يعفو عن عجزه عن الانتقام وهذا جمع الله بينهما في قوله وكان الله عفوا قديرا وتمام حلمه وعفوه ان المجرم الذي افنى عمره بالكفر به ورسله وتكذيبه وتكذيب رسله والسعي في محاربته ومحاربة اوليائه والحرص على اطفاء الحق واظهار الباطل انه اذا تاب توبة نصوحا ورجع اليه نادما على جرمه فانه يعفو عنه في ساعة واحدة جميع ما تقدم من المعاصي والاجرام قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقال تعالى لما ذكر اصحاب الاخدود الذين حرقوا اوليائه بالنار يدعوهم الى التوبة ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق وقال النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما قبلها

وهو الصبور على اذى اعدائه * شتموه بل نسبوه للبهتان

قالوا له ولد وليس يعيدنا * شتما وتكذيبا من الانسان

هذا وذاك سمعه وبعلمه * لو شاء عاجلهم بكل هوان

لكن يعافيهم ويرزقهم وهم * يؤذونه بالشرك والكفران

في الصحيح وهذه الآيات ماخوذة من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث لا احد اصبر على
اذى سمعه من الله يجعلون له الولد وهو يعافيهم ويرزقهم ويعافيهم وثبت عنه صلى الله
عليه وسلم في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال الله
تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك فأما
تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون علي من
اعادته واما شتمه اياي فقوله ان لي ولدا وانا الواحد الاحد الفرد الصمد الذي
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ولهذا قال المصنف وهو الصبور
على اذى اعدائه شتموه اي سبوه سبا لا يليق بجلاله بكلمة ونسبوه للبهتان
الذي تنزه عنه فالشتم هو السب بقولهم له ولد فان هذا مناقض لوحدانيته
وغناه وانه مالك السموات والارض كما قال تعالى قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه
عن هذه النسبة الباطلة التي لا تصدر الا من اعظم المبطلين ثم ذكر ما يدفع
ذلك فقال هو الغني له ما في السموات والارض ثم ذكر مصدر هذا القول الذي
قالوه وانهم يقولون ويتكلمون بلا علم وهذا من اعظم المحرمات فقال ان
عندكم من سلطان بهذا اي ليس عندكم ادنى حجة بهذا القول الذي قلتم
اتقولون على الله ما لا تعلمون ثم ذكر انه افترى فقال قل ان الذين يفترون على الله

الكذب

الكذب لا يفلحون وقال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله وقال
تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون
ونسبته للبهتان هو تكذيبه يقول المنكرين للبعث لن يعيدنا وهذا تكذيب
له ولرسله قال تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم
لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير وقال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم
يعيده وهو اهون عليه فلم يبالوا المعاندون بقول الله بل كذبوه وقالوا أئذا كنا
عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا اي لا يكون ذلك بزعمهم فانهم من
جهلهم قاسوا قدرة العظيم بقدرة العبد الضعيف ولم يفقهوا قوله تعالى
عن عظمته وكمال اقتداره ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس فقول المؤلف شتما عائدا الى نسبة الولد له وقوله
تكذيبا عائدا لانكارهم البعث ثم قال هذا وذاك نسبة الولد والتكذيب
بالبعث بسمعه وبعلمه يسمع ما به ينطقون ويعلم ما يسرون وما يعلنون
والحال انه لو شاء لعاجلهم بكل هوان اي بكل عقوبة تستأصلهم لكمال قدرته وعدم
امتناعهم عن تنفيذ ارادته فيهم ومع هذا يعافيهم ويرزقهم فيدر لهم الارزاق
وينعم عليهم بالنعم وهم يؤذونه بالشرك والكفران فهل مثل هذا الصبر شيء

فانه صبر متضمن لاحسانه وقدرته فان الصبر قد يوجبه علم القدرة الصابر على
مقابلة المؤذى وقد يصبر على الاذى ولا يحسن الى من اساء اليه واما الله تعا
فهو الصبور على الحقيقة يوذيه العبد الضعيف العاجز بمعاداته ومعادات رسله
ومحاربة اوليائه والسعى فى اطفاء دينه وناصيته بيد الله وهو المتصرف فيه
فى حركاته وسكناته ومع ذلك يمهله ويستدعيه الى التوبة ويحثه الى الانابة ويدرّ
عليه الارزاق الواسعة فتبارك الرب الرحيم الذى ليس كمثله شيئ وهو السميع
البصير الصابر الذى يحب الصابرين ويعينهم فى جميع امورهم

فصل

وهو الرقيب على الخواطر واللوا * حظ كيف بالافعال بالاركان

الرقيب والشهيد مترادفان وكلاهما يدل على احاطة سمع الله بجميع المسموعات
وبصره بجميع المبصرات وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية ولهذا قال
المصنف وهو الرقيب على الخواطر اى يعلم ما يخطر فى القلوب من الافكار والوساوس
التى لم يتكلم بها العبد وعلى اللواحظ بالابصار اللواحظ الخفية والجلية فاذا كان
رقيبا على الخواطر واللحظات فكيف لا يكون رقيبا على ما هو اظهر منها من
الافعال بالاركان والحركات قال تعالى ان الله كان على كل شيئ رقيبا وقال تعالى والله

على

على كل شيئ شهيد وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ولهذا كانت المراقبة هى التعبد باسمه الرقيب
فاذا علم العبد ان حركاته الظاهرة والباطنة قد احاط الله بعلمها واستحضر
العلم لهذا العلم فى جميع احواله اوجب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر
وهاجس يبغضه الله وحفظ ظاهره عن كل فعل او قول يسخط الله و
تعبد بمقام الاحسان فعبد الله كانه يراه فان لم يكن يراه فانه يراه قال تعالى
منبها على هذا المعنى وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى
الساجدين انه هو السميع العليم وقال الشاعر

كأن رقيبا منك يرعى خواطرى * وآخر يرعى ناظرى ولسانى
فما خطرت فى القلب منى خطرة * لغيرك الا عرّجا بجنانى
ولا نظرت عينى لغيرك نظرة * من الخلق الا قلت قد رمقانى
ولا بدرت من فى بعدك لفظة * لغيرك الا قلت قد سمعانى

ثم قال رحمه الله تعالى

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيل * يحفظهم من كل امر عان

ذكر رحمه الله للحفيظ معنيين أحدهما انه الحفيظ عليهم جميع ما عملوه

من خير وشر وطاعة ومعصية فان علم الله تعالى محيط بجميع اعمالهم ظاهرها
وباطنها وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ ومع ذلك فقد وكل بالعباد ملائكة
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون قال تعالى يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا
احصاه الله ونسوه وقال تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين وقال
تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السما والارض ان ذلك على الله يسير وقال تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فهذا المعنى من حفظ تعالى على عبده فتضمن
لاحاطة علم الله تعالى باحوال عبده الظاهرة والباطنة والاقوال والافعال
وكتابتها باللوح المحفوظ وبالصحف التي بايدي الملائكة وعلمه تعالى
بمقاديرها وكمالها ونقصها ومقاديير جزائها في الثواب والعقاب ثم مجازاته
عليها بعدله وفضله والمعنى الثاني من معنى الحفيظ انه تعالى الحافظ
لعباده من جميع ما يكرهون ولهذا قال المصنف وهو الكفيل بحفظهم من
كل امر عان مشق مكروه وحفظه تعالى لخلقه نوعان عام وخاص فالعام
حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيم بنيتها ويحفظ قوتها
وتمشي الى مصالحها بهدايته العامة التي قال الله عنها الذي اعطى كل شيء

خلقه ثم هدى اي هدى كل مخلوق الى ما قدر له وقضى له مما هو من ضروراته
كالهداية للمآكل والمشرب والمنكح والسعي في اسباب ذلك ودفعه عنهم انواع المكاره
واصناف المضار التي يشترك فيها الابرار والفجار بل الحيوانات وغيرها فهو الذي
يحفظ السموات والارض ان تزولا ويحفظ الخلائق بنعمه ان يفسدوا او يتلفوا وقد
وكل بالادميين حفظة من الملائكة الكرام يحفظونه من امر الله اي يدفعونه عنه
كما يضره مما هو بصدد ان يضره لولا حفظ الله قال تعالى له معقبات من بين يديه
ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقال تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من
الرحمن اي لو تخلى عنكم الرحمن الذي رحمكم بحفظكم من ذا الذي يقوم بكلايتكم
في نومكم ويقظتكم غيره اي لا احد يقوم بذلك سوى الرحمن فتعين ان يكون هو
المعبود وحده والنوع الثاني حفظه الخاص لاوليائه وعباده المؤمنين سوى
ما تقدم يحفظهم عما يضر ايمانهم ويزلزل ايقانهم من انواع المحن والفتن والشبه
التي يخاف معها على الايمان فيما فيهم الله منها وان ابتلوا بها يسر لهم الخروج منها
بعافيه ويحفظهم من اعدائهم من الانس والجن فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيدهم
قال تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا ولم يذكر ما يدفع عنهم لاجل العموم والشمول
وانه يدفع عنهم كلما يضر ايمانهم وعلى حسب ما مع العبد من الايمان يكون دفع الله

عنه قال تعالى فى دفعه العام للمومنين ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض وقال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ومن الحفظ الخاص
ماورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الدعاء الذى عند المنام ان امسكت نفسى
فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين فصار معنى الحفيظ
الذى يحفظ على العباد اعمالهم ليجازيهم بها ويحفظهم مما يكرهون

وهو اللطيف بعبده ولعبده * واللطف فى اوصافه نوعان
ادراك اسرار الامور بخبرة * واللطف عند مواقع الاحسان
فيريك عزته ويبدى لطفه * والعبد فى الغفلات عن ذا الشان

يعنى ان اللطيف بعبده فى اموره المتعلقة بنفسه وهو اللطيف لعبده اى يلطف
له فى الامور الخارجة عنه فيسوق اليه ما به صلاحه حيث لا يشعر ولهذا كان
اللطف فى اوصاف الله تعالى على قسمين احدهما خبرته تعالى وادراكه لاسرار
الامور وخفايا الصدور ومغيبات الامور وما لطف ودق من كل شئ وهذا
النوع يرجع الى احاطة علمه بالمعلومات الا انه العلم الخاص فى الامور الخفية ويلزم
منه علمه بجليات الامور ومن ذلك لما ذكر تعالى تعلق علمه بما فى بطن الارض من

خفايا البذور واستخراجها من باطن الارض بما ينزل عليها من السماء وخبرته بشدة
حاجة عباده الى ذلك ذكر هذا الاسم الكريم فقال ألم تر أن الله انزل من السماء
ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير فهو الذى يعلم السر واخفى
ويعلم ما فى السموات والارض ويخرج الخبئ فى السموات والارض وما تسقط من
ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين
يعلم خافية الاعين وما تخفى الصدور والنوع الثانى لطفه بعبده ووليه
الذى يريد ان يتم عليه احسانه ويشمله بكرمه ويرقيه الى المنازل العاليه
فييسره لليسرى ويجنبه العسرى ويمتحنه بانواع المحن التى تشق عليه و
يكرهها وهى عين صلاحه والطريق الى سعادته كما امتحن انبيائه باذى قومهم
وبالجهاد فى سبيله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم
نصرنا وكما ذكر الله عن يوسف عليه السلام بعد ما حصلت له المحن باخوته
ثم بالرق بمراودة امرأة العزيز ثم بالسجن الطويل ثم حصل الله ذلك كله طريقا
الى علوه وارتفاعه وملكه وخضوع ابويه واخوته له ولهذا قال فى آخر قصته
يا ابت هذا تاويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد احسن بى اذ اخرجنى
من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى

ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم وكثيرا ما يمتحن اولياءه بما يكرهون
لينيلهم ما يحبون ولهذا قال للمصنف فيريك عزته اى فى امتحانك بما تكره و
يبدى لطفه والعبد فى الغفلات عن ذى الشان فلو اطلع على الغيب لفرح بكثير
الامور التى تجرى عليه بخلاف ما يهوى وكم لله من لطف وكرم لا تدركه الافهام
ولا تتصوره الاوهام وكم استشرف العبد لمطلوب من مطالب الدنيا من امارة
او ولاية او سبب من الاسباب الدنيوية فيصرفه الله عنه رحمة به لئلا يفسد
عليه دينه فيظل العبد حزينا من جهله وعدم معرفته بربه وفى الدعاء المأثور اللهم
ما رزقتنى مما احب فاجعله قوة لى فيما تحب وما زويت عنى مما احب فاجعله
فراغا لى فيما تحب اللهم الطف بنا فى قضائك وبارك لنا فى قدرك حتى لا نحب
تعجيل ما اخرت ولا تاخير ما عجلت

فصل

وهو الرفيق يحب أهل الرفق بل * يعطيهم بالرفق فوق أمانى

وهذا قد اخذه المؤلف رحمه الله تعالى من قول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة
بعد ما سمعت اليهودى الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم السام عليك يا محمد
فاجابه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله وعليكم فقطت عائشة لليهودى فقالت

وعليكم

وعليكم السام واللعنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة
ان الله رفيق يحب اهل الرفق الحديث وقال ان الله يعطى على الرفق ما لا
يعطى على العنف فالله رفيق فى افعاله خلق السموات والارض فى ستة ايام
مع قدرته على خلقها فى لحظة واحدة وكذلك الادميون والحيوانات وانواع
الاشجار والنبات يخلقها تعالى بالتدريج شيئا فشيئا حتى تتم وتكبر
وهذا من رفقه وحكمته التى فيها من الفوائد والمنافع ما لا يدخل تحت
الحصر واذا كان رفيقا فهو يحب اهل الرفق ويعطيهم من فضله واحسانه
ما لا يعطى غيرهم ولهذا ما كان الرفق فى شئ الا زانه ولا كان العنف فى شئ
الا شانه فالمتأنى الذى يأتى الامور برفق وسكينة ووقار واتباعا لسنن
الله فى الكون تتيسر له الامور خصوصا الذى يامر الناس وينهاهم فى
مصالح دينهم ودنياهم فانه محتاج بل مضطر الى الرفق واللين قال تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك وكذلك من اذاه الناس بكلا قوال البشعة
فصان لسانه عن مشاتمتهم ودفع عن نفسه برفق ولين اندفع عنه من
اذاهم بسبب ذلك ما لا يندفع عمن قابلهم وصنع كصنيعهم مع راحته و لا

وطمانينة قلبه واكتسابه للرزانة والحلم وتنزهه عن سفسفة
الاقوال ولهذا لما كان اليهود يريدون بخطابهم للنبي صلى الله عليه وسلم
بقولهم السام عليكم يريدون الموت من كمال حلمه صلى الله عليه وسلم لم
يشتمهم بل قال وعليكم اى ما قلتم وهذا قال لعائشة الم تسمعي ما قلت
لهم فبين عليه الصلاة والسلام ان المقابلة قد تحصل من دون كلام
مستبشع ولا قول غليظ وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى ينبغي
للآمر والناهي عن المنكر ان يكون عالما بما يأمر به عالما بما ينهى عنه عدلا فيما يأمر به
عدلا فيما ينهى عنه رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهى عنه فالرفق يدرك به
خير كثير ويثيب الله عليه ثوابا جزيلا والعنف بخلاف ذلك ٥

وهو القريب وقربه المختص بالد * اعي وعابده على الايمان

وقربه ٥
يعني ان القرب من اسمائه تعالى قسمان قرب عام وقرب خاص فالقرب العام
احاطة علمه بجميع الاشياء وهو اقرب للانسان من حبل الوريد ما يكون من
نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا
اكثر الا هو معهم اينما كانوا والنوع الثاني قربه المختص بالداعين والعابدين
والمحبين وهو قرب يقتضي المحبة والنصرة والتاييد والاجابة والقبول

والاثابة ومن ذلك قوله تعالى فاسجد واقترب وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فهذا قربه من عابديه وقال تعالى واذا سألك
عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فهذا قربه من داعيه بالاجابة
والتوفيق وللمصنف ههنا كلام حسن ذكره في بدائع الفوائد فلنذكره لشدة حاجة
اليه وعدم اجزاء غيره عنه قال في اثناء كلامه على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية
الى قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين وسادسها وهو من النكت السرية
البديعة جدا انه دال على قرب صاحبه من الله وانه لا قرب اليه منه وشدة حضوره
يسأل مسئلة اقرب شيء اليه فيسأله مسئلة مناجاة القريب للقريب لا مسألة
نداء البعيد للبعيد وهذا اثنى سبحانه وتعالى على عبده زكريا في قوله اذ نادى ربه
نداء خفيا فكلما استحضر القلب قرب الله منه وانه اقرب اليه من كل قريب وتصور
ذلك اخفى دعاءه مهما امكنه ولم يتأت له رفع الصوت به بل يراه غير مستحسن
كما ان من خاطب جليسا ليسمع كلامه فانه لو بالغ في رفع الصوت استهجن ذلك منه
ولله المثل الاعلى سبحانه وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى بقوله في
الحديث الصحيح لما رفع الصحابة اصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر فقال
اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا اقرب

الى احدكم من عنق راحلته وقد قال تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان وقد جاء ان سبب نزولها ان الصحابة قالوا يا رسول الله
ربنا قريب فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله عز وجل واذا سالك عبادى
عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وهذا يدل على ارشادهم للمناجاة فى
الدعاء لا للنداء الذى هو رفع الصوت فانهم سألوه فاجيبوا بان ربهم تبارك
وتعالى قريب لا يحتاج فى دعائه وسؤاله الى النداء وانما يسأل مسئلة القريب
المناجى لا مسئلة البعيد المنادى وهذا القرب من الداعى هو قرب خاص ليس
قربا عاما من كل احد فهو قريب من داعيه وقريب من عابده وما اقرب ما يكون
العبد من ربه وهو ساجد وهو اخص من قرب الاثابة وقرب الاجابة الذى لم
يثبت اكثر المتكلمين سواه بل هو قرب خاص من الداعى والعابد كما قال النبى
صلى الله عليه وسلم رواية عن ربه تبارك وتعالى من تقرب منى شبرا تقربت
اليه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت اليه باعا فهذا قربه من عابده واما
قربه من داعيه وسائليه فكما قال تعالى واذا سالك عبادى عنى فانى قريب
أجيب دعوة الداع اذا دعان وقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية فيه الاشارة
والاعلام بهذا القرب وأما قربه تبارك وتعالى من محبه فنوع آخر

ونبأ

ونبأ آخر وشأن آخر قد ذكرناه فى كتاب التحفة المكية على ان العبارة تنبو
عنه ولا يحصل فى القلب حقيقة معناه لكن بحسب قوة المحبة وضعفها يكون
تصديق بهذا القرب واياك ثم اياك ان تعبر عنه بغير العبارة النبوية او يقع
فى قلبك غير معناها ومرادها فتزل قدم بعد ثبوتها وقد ضعف تمييز خلائق
فى هذا المقام وساء تعبيرهم فوقعوا فى انواع من الطامات والشطح وقابلهم
من غلظ حجابه فانكر محبة العبد لربه جملة وقريه منه واعاد ذلك الى مجرد
الثواب المخلوق فهو عنده المحبوب القريب ليس الا وقد ذكرنا من طرق الرد على هؤلاء
وهؤلاء فى كتاب التحفة اكثر من مائة طريق انتهى كلامه رحمه الله

وهو المجيب يقول من يدعو أجبه * انا المجيب لكل من ناداني

وهو المجيب لدعوة المضطر اذ * يدعوه في سر وفي اعلان

جعل المؤلف للمجيب معنيين معنى عام ومعنى خاص فالعام اجابته تعالى
لكل من دعاه دعاء عبادة ودعاء مسئلة كما قال تعالى وقال ربكم ادعونى استجب
لكم فدعاء المسئلة ان يقول بلسانه اللهم اعطنى كذا واللهم ادفع عنى كذا فهذا
يقع من البر والفاجر ويستجيب الله فيه للبر والفاجر فقد يدعو الكافر بحصول
رزق او دفع عدو او خروج من مشقة فيستجيب الله له ولا اعظم كفرا من

ابليس وقد سأل الله النظرة فانظره الله الى يوم يبعثون ولهذا يستدل بهذا النوع
الذوق
على كرم الباري وسعة جوده وحلمه ولا يدل مجرد الاجابة على حسن حال الداعي اجيبت
دعوته حتى يأتي ما يدل على ذلك فان اقترن بذلك ما يدل على تقين الحق معه كسؤال
الانبياء ودعائهم لقومهم وعلى قومهم دل ذلك على صدق من اجاب الله دعاءه
ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يدعو فيرى الناس عيانا اجابته
فيجعلونه من دلائل النبوة وايات صدقه صلى الله عليه وسلم وكذلك ما يذكرونه
عن كثير من اولياء الله من اجابة دعواتهم يجعلونه من كرامات الله لاوليائه
واما الاجابة الخاصة فلها اسباب عديدة ومن اعظمها دعوة المضطر
الذي وقع في شدة وكربة عظيمة فان الله تعالى يجيب دعوته وذلك لشدة افتقار
العبد لربه في هذه الحال وانقطاع بقلبه عن المخلوقين ولسعة رحمة الله التي
تشمل بها الخلق بحسب حاجتهم اليها فكيف بمن اضطر اليها ولهذا قال
المصنف وهو المجيب لدعوة المضطر اذا دعوه في سر وفي اعلان ومن اسباب اجابة
الدعاء اطالة السفر والتوسل الى الله باحب الوسائل المقربة اليه من اسمائه وصفاته
ونعمه ودعوة المظلوم ودعوة الوالد لولده او عليه وفي الاوقات والاحوال الشريفة
كما وردت بذلك كله النصوص والاخبار التي لا يسعها هذا الموضع وقال ربكم ادعوني

استجب لكم وقال تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان وقال تعالى ان ربي قريب مجيب وقال تعالى امن يجيب المضطر اذا
دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض

وهو الجواد فجوده عم الوجـ * ـود جميعه بالفضل والاحسان
وهو الجواد فلا يخيب سائلا * ولو انه من أمة الكفران

يعني ان جوده تعالى عام لجميع المخلوقات قد عمها وشملها وملأها من فضله
واحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة وخاص للسائلين بلسان المقال أو
بلسان الحال من بر وفاجر ومسلم وكافر فمن سأل الله تعالى اعطاه سؤاله
ونال ما طلب قال تعالى وهو الرحيم انه هو البر الرحيم وقال تعالى وما بكم من
نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجئرون وقال تعالى وآتاكم من كل ما
سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم وفي الحديث
القدسي الذي رواه مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه قال يا عبادي لو أن اولكم وآخركم وانسكم
وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل انسان مسألته ما
نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا غمس في البحر وفي رواية لغير مسلم ذلك

بانى جواد ما جد واجد عطائى كلام وعذابى كلام انما امرى لشيئ اذا اردت
ان اقول له كن فيكون وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ان خزائن
يد الله ملاى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما انفق منذ خلق
السموات والارض فانه لم يغض ما فى يمينه وبيده الاخرى القسط يخفض بها
ويرفع ومن جوده وكرمه ما اعده الله لاوليائه فى دار كرامته مما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومن جوده وكرمه انه المغيث لكل
مخلوقاته فلهذا قال

وهو المغيث لكل مخلوقاته * وكذا يجيب اغاثة اللهفان

فالمغيث يتعلق بالشدائد والمشقات فهو المغيث لجميع المخلوقات عند
ما تتعسر امورها وتقع فى الشدائد والكربات من اطعام جائعهم وكسوة
عاريهم وتخليص مكروبهم وكشف الضر عنهم وانزال الغيث عليهم فى وقت
الضرورة اليه وكذلك يجيب اغاثة اللهفات اى دعاء من دعاه فى حالة
اللهف وشدة الاضطرار ممن استغاثه اغاثه قال تعالى وهو الذى ينزل
الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله
ينظر اليكم ازلين قنطين فيظل يضحك يعلم ان فرجكم قريب وقال
تعالى

تعالى ثم اذا مسكم الضر فاليه تجئرون وقال تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين
بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجائهم الموج من كل مكان وظنوا
انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من
الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم
على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون وقال تعالى
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن
من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون وقال تعالى امن
يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أ اله مع الله
وقال تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقال تعالى ان مع العسر يسرا ان مع العسر
يسرى وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن عباس الذى رواه الترمذى
وغيره واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا وقال
تعالى عن ذى النون عليه السلام انه نادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى
كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين اذا وقعوا
فى الشدائد نجاهم الله ودفعها عنهم بايمانهم ولهذا ينجيهم من كربات الموت
وشدة القبر واهوال يوم القيامة حين تعجز قدرهم ولا يبقى ملجأ يلجئون

اليه لا الله تبارك وتعالى وكما انجاه في الدنيا من الكرب والشدائد كثيرا من
انبيائه واوليائه واغاثهم بلطفه ودفع عنهم بعزته ورحمهم ويسرهم لليسرى

وهو الودود يحبهم ويحبه * أحبابه والفضل للمنان
وهو الذي جعل المحبة في قلو * بهم وجازاهم بحب ثان
هذا هو الاحسان حقا لا مما * ومنة ولا لتوقع الشكران
لكن يحب شكورهم وشكورهم * لا لاحتياج منه للشكران

هذا تفسير لاسمه تعالى الودود وقد اختلف المفسرون في تفسيره فقيل انه فعول
بمعنى فاعل وقيل انه فعول بمعنى مفعول والصحيح انه يعم النوعين كليهما كما قال المصنف
فهو الودود الذي يود عباده المؤمنين واولياءه الصالحين وهو المودود لاوليائه
وعباده المتقين بل لا شيء اود اليهم منه ولا تقاد المحبة الله محبة لا في اصلها
ولا في متعلقها ولا في كيفيتها وهذا هو الواجب ان تكون محبة الله في قلب العبد
سابقة لكل محبة غالبة على كل ويتعين ان يكون كل محبة تبعا لمحبة الله قال تعالى
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية وقال تعالى والله يحب المحسنين والله
يحب الصابرين ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى وهو الغفور
الودود اشارة الى ان من احبه الله غفر له الذنوب ويسره لكل مطلوب وقال

تعالى قل

تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والدليل على
وجوب محبة الله تعالى وانه يجب تقديمها على سائر محاب النفوس هو قوله تعالى قل
ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم الى قوله احب اليكم من
الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره فتوعد تعالى من كانت
هذه الامور احب اليه من الله ورسوله وابتاع مرضاة الله ولهذا كانت محبة
الله تعالى هي روح الاعمال وجميع العبودية ناشئة من محبة الله تعالى ومحبة العبد
لربه فضل من الله واحسان ليست بحول العبد ولا قوته فهو الذي احب عبده
فجعل المحبة في قلبه ثم لما احبه العبد جازاه الله بحب آخر فهذا هو الاحسان على
الحقيقة احسان محض ليس للمقصود به معاوضة وانما ذلك محبة منه تعالى للشاكرين
من عباده ومحبة للشكر من غير حاجة منه الى الشكر بل لمصلحة كلها عائدة الى العبد
فتبارك الذي اودع محبته في قلوب عباده المتقين ثم لم يزل ينميها ويقويها حتى
وصلت الحالة تتضاءل عندها المحاب وتسليهم عن المألوفات وتهون عليهم المصيبات
وتلذ لهم مشقة الطاعات وتثمر لهم ما يشاؤن من اصناف الكرامات التي اعلاها
حصول محبة الله والفوز برضاه والانس بقربه فمحبة العبد لربه محفوفة بمحبتين من
ربه محبة قبلها صارها محبا لربه ومحبة بعدها شكرا من الله له على محبته صارها

من اصفيائه المخلصين فنسالك اللهم حبك وحب من يحبك وحب
العمل الذى يقربنا الى حبك اللهم اجعل حبك احب الينا من انفسنا واهلنا
واولادنا ومن الماء البارد واجعل كل محبة تعلقت منا بغيرك نابعة لمحبتك واعظم
سبب يكتسب به العبد محبة الله التى هى اعظم المطالب الاكثار من ذكره وكثرة
الاناية اليه وكثرة التقرب اليه بالفرائض والنوافل وتحقيق متابعة الرسول صلى
الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك
وتعالى انه قال من عادى لى وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بشئ احب
الى مما افترضت عليه ولا زال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت
سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها
ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه وما ترددت عن شئ انا فاعله
ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته رواه البخارى
والمقصود ان معنى الودود انه المحبوب المودود اعظم مودة واصفاها واخلصها
من عباده المؤمنين الواد لعباده القائمين بمحابه ومراضيه وله الفضل
والمنة فى ذلك كله و

وهو

وهو الشكور فلن يضيع سعيهم * لكن يضاعفه بلا حسبان
ما للعباد عليه حق واجب * هو اوجب الاجر العظيم الشان
كلا ولا عمل لديه ضائع * ان كان بالاخلاص والاحسان
ان عذبوا فبعدله او نعموا * فبفضله والحمد للمنان

قال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما وقال
تعالى والله شكور فمن اسمائه تعالى الشاكر والشكور الذى لا يضيع سعى
العاملين لوجهه ولا يتركه باطلا بل يضاعفه اضعافا مضاعفة بلا عد ولا
حسبان كما قال تعالى انا لا نضيع اجر من احسن عملا وقال تعالى ان الله لا يضيع
اجر المحسنين وقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقال تعالى ان الله لا
يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وقال تعالى
مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل
سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم وقال تعالى
من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون وقال تعالى ومن يعمل
من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وقال تعالى فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره وثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله

كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له
حسنة كاملة فان عملها كتبها الله له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف
كثيرة وقال صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا
الطيب فان الله يقبلها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل
الجبل العظيم متفق عليه الى غير ذلك من النصوص الدالة على سعة فضل الله وانه الشاكر
لسعي العاملين الذي لا يضيع عمل عامل ويعينه ما يتحمل المتحملون من اجله ومن فعل
لاجله اعطاه فوق المزيد ومن ترك لاجله عوضه الله خيرا من ذلك وهو الذي وفق
عباده المؤمنين لمرضاته ثم شكرهم على ذلك واعطاهم من كراماته مما لا عين رأت و
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكل هذا ليس حقا واجبا عليه بالاصل وانما هو
الذي اوجبه على نفسه ولهذا قال المصنف (ما للعباد عليه حق واجب *
هو اوجب لاجر العظيم الشان) وهذا القيد الذي قيده به المصنف احسن من
اطلاق من اطلق ذلك بقوله (ما للعباد عليه حق واجب + كلا ولا سعي لديه ضائع)
وكذلك تقييد المصنف للسعي الذي لا يضيعه الله بقوله ان كان بالاخلاص و
والاحسان اي مقصودا به وجه الله محسنا فيه على سنة رسوله لان العمل لا يكون
صالحا حتى يوجد فيه هذا الشرطان الاخلاص والمتابعة كما قال في موضع آخر

فقيام

فقيام دين الله بالاخلاص * والاحسان انما له أصلان

وقول المؤلف ان عذبوا فبعدل له لانه لا يعذبهم الا بذنوبهم التي اجترحوها بعد
ما قامت عليهم حجة الله وحذرهم منها غاية التحذير فاذا استمروا على الطغيان
بعد ذلك ولم يقبلوا نصائح الناصحين علم انهم لا يصلحون الا للعذاب فعدل
فيهم حيث عذبهم لانه لا يضع العقوبة الا في موضعها واما انعامه واكرامه
فان ذلك محض فضله واحسانه لانه الذي وفقهم واعانهم واعد لهم من الكرامات
ما لا يقابله اضعاف اضعاف اعمالهم ولكن له تعالى تمام الحمد وكمال النعمة وله
الفضل اولا وآخرا وظاهرا وباطنا قال المصنف في بدائع الفوائد
قد اخبر الله سبحانه في كتابه انه كتب على نفسه الرحمة وهذا ايجاب منه على
نفسه فهو للموجب وهو متعلق الايجاب الذي اوجبه فاوجب بنفسه على
نفسه بقوله في الحديث الصحيح لما قضى الله الخلق كتب بيده على نفسه في كتاب
فهو عنده موضوع فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وفي لفظ سبقت
غضبي فتأمل كيف اكد هذا الطلب والايجاب بذكر فعل الكتابة وصفة
اليد ومحل الكتابة وانه كتاب وذكر مستقر الكتاب وانه عنده فوق العرش
فهذا ايجاب مؤكد بانواع التاكيد وهو ايجاب منه على نفسه ومنه قوله

تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين فهذا حق حقه الله على نفسه فهو
طلب وايجاب على نفسه بلفظ الحق ولفظ على ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح لمعاذ اتدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله اعلم
قال حقه عليهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري ما حق العباد على
اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله اعلم قال حقهم عليه ان لا يعذبهم بالنار
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في غير حديث من فعل كذا وكذا كان حقا
على الله ان يفعل به كذا وكذا في الوعد والوعيد فهذا الحق الذي احقه على نفسه
ومنه الحديث الذي في المسند عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في
قول الماشي الى الصلاة اسألك بحق ممشاي هذا وبحق السائلين عليك
فهذا حق السائلين عليه هو احقه على نفسه لانهم هم اوجبوه واحقوه
بل احق على نفسه ان يجيب من سأله كما احق على نفسه في حديث معاذ
ان لا يعذب من عبده فحق السائلين عليه ان يجيبهم وحق العابدين له ان
يثيبهم والحقان هو الذي احقهما واوجبهما لا السائلون والعابدون فانه

ما للعباد عليه حق واجب * كلا ولا سعي لديه ضائع
ان عذبوا فبعدله او نعموا * ففضله وهو الكريم الواسع

ومنه

ومنه قوله تعالى وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن فهذا الوعد هو
الحق الذي احقه على نفسه واوجبه ونظير هذا ما اخبر به تعالى من
قسمه ليفعلنه نحو قوله فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله فوربك لنحشرنهم
والشياطين وقوله ولنملأن جهنم من الظالمين وقوله فالحق والحق اقول لاملأن جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين الى اخر ما ذكره رحمه الله تعالى والمقصود من
هذا الكلام ذكر ما يتعلق بقوله

(ما للعباد عليه حق واجب * هو اوجب لاجر العظيم الشان)

فان ايجابه على نفسه ما اوجبه فضل منه واحسان لا معاوضة ولا
في مقابلة عمل مستقل من احد من العالمين فله المنة في هذه الدار وفي دار
البرزخ ودار القرار

فصل

وهو الغفور فلواتي بقرابها * من غير شرك بل من العصيان
لاتاه بالغفران ملء قرابها * سبحانه هو واسع الغفران

يعني انه تعالى الغفور الذي وصفه المغفرة للذنوب والجرائم فلواتي العبد
بقراب الارض خطايا وهو لا يشرك بالله شيئا لاتاه الله بقرابها اي ملئها

مغفرة كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء هذا
مع عدم التوبة واما التوبة فان الله يمحو بها الذنوب الكبار والصغار الشرك فما
دونه كما قال تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى ان ربك واسع
المغفرة فمغفرته تعالى وسعت كل شيء فالعباد لا يزالون يذنبون والله يتجاوز
عنهم ويحب العفو عنهم وهو وان كان واسع المغفرة فانه قد جعل للمغفرة اسبابا
تنال بها لانها اعظم المطالب وذلك كالتوبة والاستغفار والايمان والعمل الصالح
والاحسان الى عباد الله ومغفرة ما يصدر منهم وحسن الظن بالله تعالى
وغير ذلك مما جعله مقربا لمغفرته كما قال تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن
وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات انه من
يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من يرد الله به خيرا يصب منه وقد تكاثرت النصوص الدالة على تكفير
السيئات بالمصائب والمكاره التي تصيب العبد خصوصا اذا عمل بما امره الله
به من الصبر والاحتساب وقال تعالى في الحديث القدسي يا عبادى انكم
تخطؤن بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم ولولا

عفوه ومغفرته ما ترك على ظهر الارض من دابة ولكنه تعالى يعامل عباده بالاحسان
اليهم بحصول الخيرات ودفع المضرات التي انعقدت اسبابها فيحلها ويزيل اثارها
وسيأتي ان شاء الله تعالى وجه عدم دخول الشرك في مغفرة الله في آخر هذه الفصول

وكذلك التواب من اوصافه * والتوب في اوصافه نوعان
اذن بتوبة عبده وقبولها * بعد المتاب بمنة المنان

يعني انه التواب اى كثير التوبة على الخطائين والمذنبين وتوبته على عبده نوعان
الاول اذنه لعبده وتوفيقه للتوبة فانه لولا توفيقه لما خطر بقلب العبد ارادة
التوبة ثم لولا توفيقه لما صارت تلك الارادة عزما جازما مقرونا بفعل اسباب
التوبة من الاقلاع عن الذنب في الحال والندم على ما مضى منه والعزم على ان لا يعود
اليه والاستمرار على ذلك النوع الثاني توبته على عبده بعد توبة العبد بقبولها
واجابتها ومحو الذنوب بها فهو الذي من بالسبب والمسبب وله الفضل والاحسان
في اول الامر واخره ففي العبد الاجتهاد في مرضاته والشكر له على توفيقه ومنته
قال النبي صلى الله عليه وسلم التوبة تجب ما قبلها متفق عليه وقال تعالى بعد ما
ذكر الشرك والمعاصي الكبار فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب
يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله

سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ومن لطفه تعالى وكرمه انه يفرح بتوبة التائب اعظم من فرح من فقد راحلته التى عليها طعامه وشرابه وما يصلحه فى ارض مهلكة دويه فطلبها حتى ايس منها وجعل ينتظر الموت فبينما هو على تلك الحال اذا هو براحلته على رأسه فاخذ بخطامها فقال من شدة الفرح اللهم انت عبدى وانا ربك اخطأ من شدة الفرح الذى اذهب حواسه وادراكه كما ثبت ذلك فى الصحيحين

فصل

وهو الاله السيد الصمد الذى * صمدت اليه الخلق بالاذعان

الكامل الاوصاف من كل الوجو * ه كماله ما فيه من نقصان

هذا معنى اسمه الصمد المعنى الجامع الذى يدخل فيه كل ما فسر به الصمد فهو الصمد الذى تصمد اليه جميع المخلوقات بالذل والحاجة والافتقار ويقصده العالم العلوى والسفلى فى حوائجه ومهماته لا يستغنى احد عنه طرفة عين وهو الصمد الذى له الصفات الكاملة من كل الوجوه الذى ما فى كماله من نقصان فهو العليم الكامل فى علمه الحليم الكامل فى حلمه الرحيم الكامل فى رحمته وهكذا سائر الصفات فالصمد الذى تصمد اليه جميع المخلوقات لانه كامل الصفات قال المصنف فى البدائع

التاسع عشر ان من اسمائه الحسنى ما يكون دالا على عدة صفات ويكون ذلك الاسم متناولا لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها كما تقدم بيانه كاسمه العظيم والمجيد والصمد كما قال ابن عباس فيما رواه عنه ابن ابى حاتم فى تفسيره قال الصمد الذى كمل فى سؤدده والشريف الذى قد كمل فى شرفه والعظيم الذى قد كمل فى عظمته والحكيم الذى قد كمل فى حكمته والعليم الذى قد كمل فى علمه والحليم الذى قد كمل فى حلمه وهو الذى قد كمل فى انواع شرفه وسؤدده وهو الله سبحانه وتعالى هذه صفته لا ينبغى الا له ليس له كفوا احد وليس كمثله شئ سبحان الله الواحد القهار وهذا مما خفى على كثير ممن تعاطى الكلام فى تفسير الاسماء الحسنى ففسر الاسم بدون معناه ونقصه من حيث لا يعلم

وكذلك القهار من اوصافه * فالخلق مقهورون بالسلطان

ولو لم يكن حيا عزيزا قادرا * ما كان من قهر ولا سلطان

القهار هو الذى قهر الاشياء وانقادت لعظمته ومشيئته المخلوقات كلها فلا يحدث حادث الا بمشيئة الله تعالى ولا يسكن ساكن الا بارادته وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال تعالى وهو الواحد القهار وقال تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وقال تعالى

ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر
الامر وقال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ومن
يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله قال تعالى ما
من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم فالخلق كلهم فقراء الى الله من
جميع الوجوه لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا والله
تعالى هو المالك للملك الذى له العظمة والسلطان والتصرف ثم ذكر المصنف ان
القهار من اسمائه مستلزم لكمال حياته وكمال عزته وكمال قدرته لانه محال أن
يكون قاهرا لكل شئ وهو غير حى ولا عزيز ولا قادر ولهذا قال

(ولم يكن حيا عزيزا قادرا * ما كان من قهر ولا سلطان)

وسيأتى ان شاء الله تعالى تفصيل القول فى انواع الدلالات

وكذلك الجبار من أوصافه * والجبر فى اوصافه قسمان

جبر الضعيف وكل قلب قد غدا * ذا كسرة فالجبر منه دان

والثانى جبر القهر بالعز الذى * لا ينبغى لسواه من انسان

وله مسمى ثالث وهو العلى * وفليس يدنو منه من انسان

من قولهم جبارة للنخلة الـ * ـعليا التى فاتت لكل بنان

يعنى

يعنى ان للجبار معنيين بل ثلاثة معان كلها داخلة باسمه الجبار فهو الجبار الذى
يجبر القلوب المنكسرة من اجله فيجبر الكسير ويغنى الفقير ويسير على المعسر كل
عسير ويجبر المصاب اعانته وتوفيقه للصبر واعاضته على ذلك اكمل الاجر
ويجبر قلوب الخاضعين لعظمته الخاشعين لكبريائه ويجبر قلوب المحبين بما
يفيض عليها من انواع كراماته وصنوف مسراته فالقلب المنكسر لربه جبره من
اقرب الاشياء ولهذا كان دعاء المظلوم والمضطر والمريض والمسافر ونحوهم
مجابا للكسرة التى فى قلوبهم ومن هذا قول الداعى اللهم اغفر لى وارحمنى واجبرنى
فان الجبر معناه جبر الشئ المنكسر باصلاحه وتقويمه وازالة كسره ومنه
الجبيرة وهى اليد التى تكسر فيربط عليها ما يشدها ويقيمها فسؤال العبد لربه ان يجبره
يتضمن الدعاء باصلاح حاله وتقويم امور وسائر شئونه وازالة ما فيه
من الوهن والضعف والنقص والمعنى الثانى للجبار انه القهار لكل
شئ الذى اذا اراد شيئا قال له كن فيكون بحيث لا يمتنع عليه شئ و
المعنى الثالث انه الجبار اى العالى على خلقه الذى من عظمته وكبريائه قد باين
مخلوقاته وعلا عليها فليس يدانيه احد منها لكمال رفعته وجلاله وهذا
وهذا المعنى ماخوذ من قول العرب للنخلة المرتفعة نخلة جبارة فالجبار العالى

على كل شيء القاهر لكل شيء الجابر للمنكسرين خصوصا المنكسرين من أجله

فصل

وهو الحسيب حماية وكفاية * والحسب كافي العبد كل أوان

يعني ان الحسيب معناه الكافي لعبده جميع ما اهمه من امر دينه ودنياه الحامي له من جميع المكاره لان الحسب بمعنى الكفاية فالحسيب هو الكافي والحسيب معنى آخر لم يذكره المصنف وهو انه الذي يحفظ على العباد اعمالهم من خير وشر ثم ينبئهم بها ويحاسبهم عليها ويعرفهم مقادير اعمالهم ومراتبها في الخير والشر ويجازيهم عليها قال تعالى ان الله كان على كل شيء حسيبا وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقال تعالى وان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقال تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اي كافيك وكافي اتباعك فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به العبد من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا وبحسب عبوديته لربه كما قال تعالى أليس الله بكاف عبده وقال تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الى غير ذلك من النصوص الدالة على محاسبته لعباده بما عملوه وعلى

كفايته

كفايته اياهم جميع أمورهم

وهو الرشيد فقوله وفعاله * رشد وربك مرشد الحيران

وكلاهما حق فهذا وصفه * والفعل للارشاد ذاك الثاني

يعني ان معنى الرشيد الذي قوله رشد وافعاله رشد المرشد لكل حيران وتائه وضال الى الصراط المستقيم بيانا وتوفيقا وكلا المعنيين حق فهذا وصفه اي كون اقواله وافعاله رشدا والفعل للارشاد ذاك الثاني اي كونه مرشد الحائرين وهادي الضالين فاما اقواله تعالى فانها اقوال قدرية واقوال شرعية دينية فاقواله القدرية التي يوجد بها الاشياء ويدبر بها ما يشاء من انواع التصاريف كلها حق لانها مشتملة على الحكمة التامة التي يحمد عليها تعالى اتم حمد واكمله ويعرف ذلك باستقراء المخلوقات وما فيها من الحكم والمصالح وانه لا عبث فيها بوجه من الوجوه واقواله الشرعية الدينية هي الاقوال التي تكلم بها في كتبه وعلى السنة رسله المشتملة على الصدق التام في الاخبار والعدل التام في الامر والنهي فانه لا اصدق من الله قيلا ولا احسن منه حديثا وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا صدق في الاخبار عدلا في الاوامر والنواهي وهي اعظم ما يرشد به العباد بل لا حصول الى الرشاد بغيرها فمن لم يسترشد بها فليس برشيد فيحصل بها الرشد العلمي وهو

بيان الحقائق والهدى والضلال والاحكام الشرعية ويحصل بها الرشد العلمي فانها تزكي
النفوس وتطهر القلوب وتدعو الى صالح الاعمال واحسن الاخلاق وتحث على الافعال
الجميلة وترهب عن الاعمال الرذيلة فمن استرشد بها فهو المهتدي ومن لم يسترشد بها
فهو الغاوي والله سبحانه وتعالى لم يجعل لاحد عليه حجة بعد بعثة الرسل وانزاله عليهم
الكتب المشتملة على الهدى وكم قد هدى ضالا وارشد حائرا فهو الرشيد في
قوله وفعله وارشاده سبحانه وتعالى

والعدل من اوصافه في فعله ✻ ومقاله والحكم بالميزان
فعلى الصراط المستقيم الهنا ✻ قولا وفعلا ذاك في القرآن

يعني ان الله هو الحكم العدل في وصفه وفي فعله وفي قوله وفي حكمه
بالقسط وهذا معنى كونه تعالى على صراط مستقيم كما قال هود عليه السلام
ان ربي على صراط مستقيم وذلك لان افعاله تعالى كلها دائرة بين الفضل والعدل
والحكمة فكلها افعال رشيدة مستقيمة وجميع اقواله صدق وعدل وحكمة
الدين عدل وحكمه بين عباده فيما اختلفوا فيه عدل وحكمه بين عباده
في الجزاء والثواب والعقاب عدل فليس في شيء من ذلك ظلم بوجه من الوجوه
فان الله لا يظلم مثقال ذرة ولهذا يحمده الخلائق بعد ما يقضي بينهم في القيمة

فقال

فقال وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقال تعالى الله الذي
انزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وقال تعالى والسماء رفعها ووضع
الميزان وقال تعالى آمرا عباده باقامة العدل والقسط يا ايها الذين امنوا كونوا
قوامين بالقسط شهداء لله ولهذا اتفقت الشرائع كلها على الامر
بالعدل والنهي عن الظلم

فصل

هذا ومن اوصافه القدوس والتنزيه بالتعظيم للرحمن ✻
وهو السلام على الحقيقة سالم ✻ من كل تمثيل ومن نقصان

يعني ان من اسمائه القدوس السلام فالقدوس هو المنزه المعظم عن كل سوء
وكذلك السلام على الحقيقة وضابط ما ينزه عنه امران ذكرهما المؤلف أحدهما
انه الكامل المنزه عن مماثله احد من المخلوقات فليس كمثله شيء في جميع نعوته الكمال
اوصافه والثاني انه المنزه عن كل عيب ونقصان والنقصان يرجع الى ما ينافض
اوصاف كماله فالقدوس السلام يرجع معناها الى التنزيه ويلزم من التنزيه
التعظيم والثناء عليه بصفات الكمال لان التنزيه والسلب المحض ليس معناها حتى
يتضمن اثبات ضده قال المصنف في بدائع الفوائد

فصل اذا عرف هذا فاطلاق السلام على الله تعالى اسما من اسمائه هو
اولى به من هذا كله واحق من هذا الاسم من كل مسمى به لسلامته سبحانه من كل
عيب ونقص يتخيله وهم وسلامة صفاته من كل عيب ونقص وسلم في
افعاله من كل عيب وشر وظلم وفعل واقع على غير وجه الحكم بل هو السلام الحق
من كل وجه وبكل اعتبار فعلم ان استحقاقه تعالى لهذا الاسم اكمل من استحقاق كل ما
يطلق عليه وهذا هو حقيقة التنزيه الذي نزه به نفسه ونزهه به رسوله
فهو السلام من الصاحبة والولد والسلام من النظير والكفو والسمي والمماثل
والسلام من الشريك وكذلك اذا نظرت الى افراد صفات كماله وجدت كل
صفة سلاما من مايضاد كمالها فحياته سلام من السنة والموت والنوم وكذلك
قيوميته وقدرته سلام من التعب واللغوب وعلمه سلام من عزوب شيء
منه او عروض نسيان او حاجة الى تذكر وتفكر وارادته سلام من خروجها
عن الحكمة والمصلحة وكلماته سلام من الكذب والظلم بل تمت كلماته صدقا
وعدلا وغناه سلام من الحاجة الى غيره بوجه ما بل كل ما سواه محتاج اليه
وهو غني عن كل ما سواه وملكه سلام من منازع فيه او مشارك او معاون
او مظاهر او شافع عنده بدون اذنه والهيته سلام من كل مشارك له فيها
بل هو

بل هو الله الذي لا اله الا هو وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وتجاوزه سلام من أن
يكون عن حاجة منه او ذل او مصانعة كما يكون من غيره بل هو محض جوده واحسانه
وكرمه وكذلك عذابه وانتقامه وشدة بطشه وسرعة عقابه سلام ان يكون ظلما
او تشفيا او غلطة وقسوة بل هو محض حكمته وعدله ووضعه الاشياء مواضعها
وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء كما يستحقه على احسانه وثوابه ونعمته بل لو وضع
الثواب مكان العقوبة لكان مناقضا لحكمته ولعزته فوضعه العقوبة موضعها هو
من حمده وحكمته وعزته فهو سلام مما يتوهمه اعداؤه الجاهلون به من خلاف
حكمته وقضاؤه وقدرته سلام من العيب والجور والظلم ومن توهم وقوعه
على خلاف حكمته البالغة وشرعه ودينه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب
وخلاف مصلحة العباد ورحمتهم والاحسان اليهم وخلاف حكمته بل شرعه كله حكمة
ورحمة ومصلحة وعدل وكذلك عطاؤه سلام من كونه معاوضة او لحاجة الى
المعطى ومنعه سلام من البخل وخوف الاملاق بل عطاؤه احسان محض لا
لمعاوضة ولا لحاجة ومنعه عدل محض وحكمة لا يشوبه بخل ولا عجز واستواؤه
وعلوه على عرشه سلام من ان يكون محتاجا الى ما يحمله او يستوي عليه بل
العرش محتاج اليه وحملته محتاجون اليه فهو الغني عن العرش وحملته وعن كل

ماسواه فهو استواء وعلو لا يشوبه ضعف ولا حاجة الى العرش ولا احاطة شيء به
سبحانه وتعالى بل كان سبحانه ولا عرش ولم يكن به حاجة اليه وهو الغني
الحميد بل استواؤه على عرشه واستيلاؤه على خلقه من موجبات ملكه وقهره
من غير حاجة الى العرش ولا غيره بوجه ما ونزوله كل ليلة الى سماء الدنيا ليس مما
يضاد علوه وسلامه مما يضاد غناه مترفع عما كان متعرض للهوى والسقوط طالبا
للسلامة راجيا لها سميت الآلة التي يتوصل بها الى غرضه سلما لتضمنها سلامته
اذ لو صعد بتكلف وسلام مما يضاد كماله وغناه وسلام عن كل ما يتوهم معطل او
مشبه وسلام من ان يكون تحت شيء او محصورا في شيء فتعالى الله ربنا عن كل
ما يضاد غناه وكماله وسمعه وبصره سلام من كل ما يتخيله مشبه او يتقوله معطل
وموالاته لاوليائه سلام من ان يكون عن ذل كما يوالي المخلوق المخلوق بل هو موالاة
رحمة وجبر واحسان وبر كما قال تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكذلك محبته لمحبيه واوليائه سلام
من عوارض محبة المخلوق للمخلوق من كونه محبة حاجة اليه او تملق له وانتفاع
بقربه وسلام مما يتقوله المعطلون فيها وكذلك ما اضافه الى نفسه من اليد والوجه
فانه سلام عما يتخيله مشبه او يتقوله معطل فتامل كيف تضمن اسمه سلام

كما ينزه عنه تبارك وتعالى وكم من يحفظ هذا الاسم ولا يدري ما تضمنه من هذه
الاسرار والمعاني والله المسئول ان يوفق على تعليق على الاسماء الحسنى على هذا النمط
انه قريب مجيب انتهى كلامه رحمه الله تعالى وقد اشتمل من تفصيل معاني هذا
الاسم الكريم على خير كثير

والبر في أوصافه سبحانه * هو كثرة الخيرات والاحسان
صدرت عن البر الذي هو وصفه * فالبر حينئذ له نوعان
وصف وفعل فهو بر محسن * مولى الجميل ودائم الاحسان

يعني ان البر في نسبته الى الله نوعان احدهما انه البر الرحيم الذي اتصف بالجود
والكرم وكثرة الخيرات واصناف البر الذي لا منتهى له والثاني انه البر بمعنى
انه المحسن الذي انعم على العباد بصنوف النعم ودفع عنهم جميع النقم فما بالعباد من بر
واحسان وخير وسرور في دينهم ودنياهم الا من الله وبره الابرار الذي استحقوا
به دخول الجنة من لطفه بهم وتوفيقه اياهم فمعنى البر هو المتصف بالرحمة العظيمة
الذي والى على خلقه آثارها واسدى عليهم من جوده ما به استقامت احوالهم وتمت امورهم

وكذلك الوهاب من اسمائه * فانظر مواهبه مدى الازمان
اهل السموات العلى والارض عن * تلك المواهب ليس ينفكان

يعني انه تعالى الوهاب مستمر الاحسان متواتر الفضل لم يزل ولا يزال محسنا
متفضلا دائم الهبات كثير الخيرات جزيل العطايا لا يخلو مخلوق عن رحمته واحسانه
طرفة عين فاهل السموات والارض واهل الدنيا والاخرة لا ينفكون عن جوده واحسانه ولا
يستغنون عنه في حال من الاحوال بل المفتقرون اليه على الدوام فيهب لهم من احسانه ما
تقوم امورهم الدينية والاخروية ويهب لعبادهم المؤمنين من لدنه رحمة يلم بها
شعثهم ويصلح بها نقصهم ويرقيهم بها الى اعلى الدرجات والوصول الى اجل الكرامات
ولا يمكن احدا من المخلوقين تعداد بعض نعم الله تعالى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها

وكذلك الفتاح من أسمائه * والفتح في اوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرع الهنا * والفتح بالاقدار فتح ثان
والرب فتاح بذين كليهما * عدلا واحسانا من الرحمن

يعني ان من اسمائه الحسنى الفتاح وذلك على قسمين احدهما الفتاح بحكمه
الديني وحكمه الجزائي والثاني الفتاح بحكمه القدري ففتحه بحكمه الديني هو شرعه على
السنة رسله ما به تقوم احوال المكلفين وتستقيم احوالهم الدينية والدنيوية ويعرفهم
كلما يحتاجون اليه واما فتحه بحكمه الجزائي فهو فتحه بين انبيائه ومخالفيهم وبين

اوليائه واعدائه والفتح في القيامة بين سائر الخلق حين يوفى كل عامل بعمله وتوفى كل
نفس ما عملت وهم لا يظلمون واما فتحه القدري فهو ما يفتحه على عباده من خير وشر
ونفع وضر وعطاء ومنع قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك
فلا مرسل له من بعده فهذا فتح الخير وقال في فتح الشر على من تعرض له ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح واستفتاحهم طلبهم ان يحل بهم ما وعدهم الله على لسان رسوله تكذيبا للرسول
وتعجيزا لربهم وقال تعالى في فتحه بين انبيائه ومن خالفهم ويقولون متى هذا الفتح
ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اى ينزل بهم العذاب الذى
توعدوا به وقال شعيب عليه السلام ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين
وقال في الفتح بين عباده في دار الجزاء قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح
العليم فالرب هو الفتاح الذى انفرد بالعطاء والمنع وهو الذى يفتح لعباده خزائن
جوده وكرمه فيعطى من يشاء ويمنع من يشاء وهو الذى يأمر وينهى ويثيب
ويعاقب وكل هذا تابع لعدله وفضله يحمد عليه اتم الحمد واكمله ولهذا قال
المصنف رحمه الله عدلا واحسانا من الرحمن

وكذلك الرزاق من أسمائه * والرزق من افعاله نوعان
رزق على يد عبده ورسوله * نوعان ايضا ذان معروفان

رزق القلوب العلم والايمان والـ * ـرزق المعد لهذه الابدان

هذا هو الرزق الحلال وربنا * رزاقه والفضل للمنان

والثاني سوق القوت للاعضاء * في تلك المجاري سوقه بوزان

هذا يكون من الحلال كما يكو * ن من الحرام كلاهما رزقان

والله رزاقه بهذا الاعتبار * وليس بالاطلاق دون بيان

قال تعالى ان الله هو الرزاق وذكر المؤلف رحمه الله ان رزقه نوعان احدهما الرزق
النافع المستمر نفعه في الدنيا والاخرة وهو الرزق الذي على يد الرسول صلى الله عليه وسلم
رزق القلوب بالعلم والايمان وحقائقه ورزق البدن بالحلال الذي لا تبعة فيه فان
الرزق الذي خص الله به المؤمنين والذين يسألونه منه شامل لذلك كله
فينبغي للداعي ان يستحضر بقلبه هذه الانواع فاذا قال اللهم ارزقني فمعناه اللهم
ارزقني ما يصلح قلبي من العلم والهدى والمعرفة ومن الايمان الشامل لكل عمل صالح و
خلق حسن وما به يصلح بدني من الرزق الحلال الهني الذي لا مشقة فيه ولا تبعة
تقتريه وهذا وسيلة للاول والاول هو المقصود من العبد ولا بد من الثاني ليعد
بدنه ويصلح لاقامة دين الله والنوع الثاني من الرزق الرزق العام لسائر
الخليقة برها وفاجرها بل ناطقها وبهيمها وحقيقته هو ان يسوق الله لكل

حيوان قوته الذي فيه تصلح بنيته ويستقيم بدنه ولا بد لكل مخلوق من هذا الرزق وقد
تكفل الله به لكل دابة كما قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها
ومستودعها اي فيوصل الله لها رزقها في اي مكان كانت في ظلمات البحور او في جوف الارض ذكاء
والصخور وفي العالم العلوي والسفلي وهذا قد يكون باسباب منها وقد ياتي في بعض
الاوقات بلا سعي من المخلوق وقد يكون السبب مباحا وقد يكون محرما ولهذا قال
المصنف هذا يكون من الحلال كما يكون من الحرام وربنا رزاقه بهذا الاعتبار اي من
جهة انه اوصل اليه بقضائه وقدره ما به يستقيم بدنه وان كان محرما يلام عليه
العبد ولا يتعلق به امر الله بل هو منهي عنه وقوله وليس بالاطلاق اي وليس هذا
الرزق الذي يكون من الحرام يسمى رزقا مطلقا بحيث يكون رزقا تاما لا محذور فيه
وانما يقال له مطلق الرزق وبهذا يعرف الجواب عن السؤال المشهور اذا قيل هل لله على
الفاجر نعمة ورحمة وهل الله رازقه ام لا فالجواب ان يقال اما النعمة المطلقة والرحمة المطلقة
والرزق المطلق فان هذا مخصوص بالمؤمن المتبع لمرضاة الله فان هذه الامور تكون تامة في
حقه واما الكافر والفاجر فله من ذلك مطلق الرحمة ومطلق الرزق فانه لولا رحمته ورزقه
لما وجد ولما استقام بدنه ولما حصل له ما يوافق هواه وفي كلام المصنف اشارة لرد
قول من قال من المعتزلة وغيرهم ان الحرام لا يسمى رزقا لوجود التبعة فيه وهذا قول

فاسد من لازمه ان من اغتذا بالحرام فالله لم يرزقه وهذا مصادم لما دلت عليه
النصوص ولما تقرر عند كافة بني ادم المثبتين لوجود الله فانهم متفقون على ان الله
هو الرزاق وحده كما انه الخالق وحده وانه ما من مخلوق يخلق من رزقه في وقت
من الاوقات ولكن الحرام لا يسمى رزقا مطلقا وانما هو مطلق رزق كما تقدم

فصل

هذا ومن اوصافه القيوم والـ * ـقيوم في أوصافه أمران
احداهما القيوم قام بنفسه * والكون قام به هما الامران
فالاول استغناؤه عن غيره * والفقر من كل اليه الشان
والوصف بالقيوم ذو شأن عظيم * ـم هكذا موصوفه ايضا عظيم الشان
والحي يتلوه فأوصاف الكما * ـل لهما الافق سمائها قطبان
فالحي والقيوم لن تتخلفا * وصاف اصلا عنهما ببيان

هذا تفسير للحي القيوم وجمعهما في غاية المناسبة لان الله جمع بينهما في غير آية
كما قال تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم وذلك انهما كما
قال المصنف اشتملا على جميع اوصاف الكمال ومتضمنان لذلك فانك اذا
اعطيت هذين الاسمين حقهما من المعنى لم يتخلف عن ذلك شيء من الاسماء

الحسنى

الحسنى والصفات العلى وبيان ذلك ان الحي هو من له الحياة الكاملة التي لا نقص
فيها بوجه من الوجوه والحياة الكاملة مستلزمة للسمع والبصر والعلم والقدرة والارادة
النافذة وسائر الصفات الذاتية داخلة في مسمى الحياة واما الصفات الفعلية
التي يفعلها الباري مما يتعلق بنفسه كالاستواء على العرش والنزول الى السماء
الدنيا والمجيء للفصل بين عباده والكلام وغير ذلك ومما يتعلق بالمخلوقات كالخلق
والرزق والاحياء والاماتة والرحمة وانواع التدابير الالهية فانها داخلة في القيوم
لان معنى القيوم هو الذي قام بنفسه بماله من صفات الكمال ونعوت الجلال
بحيث كان مستغنيا عن غيره من جميع الوجوه الذي قام بجميع المخلوقات في
ايجادها واعدادها وامدادها فكما لا وجود لها الا بالله فلا بقاء لها ولا حال
الا به فهي مفتقرة اليه في جميع شئونها لا يمكن ان تستغني عنه طرفة عين ومن كمال
قيوميته انه كامل القوة والقدرة نافذ الارادة والمشيئة فعال لما يريد قام بنفسه
وقام به من سواه فالحياة تستلزم الصفات الذاتية والقيومية تستلزم الصفات
الفعلية قال المصنف رحمه الله في مدارج السالكين في منزلة الحياة في اثناء كلام
له فيشهد قيام الكون كله بالله وقيامه سبحانه بنفسه فهو القائم بنفسه المقيم لكل
من سواه فاذا رسخ قلبه ذلك شهد الصفة الصحيحة لجميع صفات الكمال وهي

الحياة التي كمالها يستلزم كمال السمع والبصر والقدرة والارادة والكلام وسائر صفات
الكمال وصفة القيومية الصحيحة المصححة لجميع الافعال فالحي والقيوم من له كل صفة
كمال وهو الفعال لما يريد انتهى

هو قابض هو باسط هو خافض * هو رافع بالعدل والميزان

يعني انه القابض للارزاق والارواح والنفوس الباسط للارزاق والرحمة والنفوس
وهو الخافض لاقوام الرافع لاخرين وذلك كله عدل من الله وحكمة يحمد عليه اتم الحمد و
اكمله قال تعالى والله يقبض ويبسط واليه ترجعون وقال تعالى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض فقبضه نعمة في حق عباده المؤمنين لانه يمنعهم به من البغي
والظلم والعدوان وقال تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال تعالى
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال تعالى بل رفعه الله اليه وكان
الله عزيزا حكيما وان كان تعالى هو القابض الباسط الخافض الرافع قدرا وقضاء فلا
يمنع ان يكون هذه الامور باسباب من العباد متى قاموا بها حصلت لهم وهذا
هو الواقع فان الاسباب محل حكمته وسنته الجارية التي لا تبدل ولا تغير واذا
كان اعظم انواع رفعه لاوليائه الى اعلى عليين في محل قربه والدنو منه فهذا محال
ان يدرك بدون الايمان والاعمال الصالحة كما قال تعالى وما اموالكم ولا أولادكم

بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا الآية وقال تعالى ان الابرار لفي
عليين فجعل استحقاقهم لاعلى الامكنة بسبب برهم فحل قبض وبسط وخفض
ورفع قدري او ديني فانه من الله تعالى لانفراده بالتدبير وهذه من انواع التدبير
والشئون التي يصرفها بحسب حكمته وحمده

وهو المعز لاهل طاعته وذا * عز حقيقي بلا بطلان

وهو المذل لمن يشاء بذلة الـ * ـرين ذل شقا وذل هوان

يعني انه المعز لمن يشاء المذل من يشاء كما قال تعالى قل اللهم مالك الملك توتي
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك
الخير انك على كل شئ قدير والعز الحقيقي الذي هو عز ظاهر وباطن انما يكون
بالقيام بطاعته واتباع رسله والذل الحقيقي انما يكون بعدم القيام بطاعته
الله فانه وان وجد مع اهل المعاصي عز ظاهر وابهة دنيوية فان ذلك محشو
بالذل والهوان فقد يشعر به صاحبه وقد تغلب عليه السكرة فلا يشعر بذلك
كما قال الحسن رحمه الله في اهل المعاصي انهم وان طقطقت بهم البراذين وهملجت
بهم البغال ان ذل المعاصي قد علاهم الى الله الا ان يذل من عصاه قال تعالى ومن
يهن الله فما له من مكرم فالعاصي له الذل والشقاء في الدنيا والآخرة قال تعالى

ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكى ونحشره يوم القيامة اعمى واما اهل العلم
والايمان فان لهم العز والسعادة فى الدنيا والاخرة ولا يغتر بظاهر ما يعطاه المترفون فى
الدنيا ولا يقع فى نفوسهم من ذلك شيء كما قال اهل العلم والايمان لمن غبط قارون على ما
اوتيه من زينة الدنيا فقالوا ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وقال تعالى
من كان يريد العزة فان العزة لله جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اى
من اراد العزة فانما كلها لله تعالى فليطلبها بطاعة الله والعمل والكلم الطيب وقال تعالى
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

هو مانع معطى فهذا فضله ✻ والمنع عين العدل للمنان
يعطى برحمته ويمنع من يشا ✻ بحكمة والله ذو سلطان

يعنى انه تعالى المنفرد بالعطاء والمنع فلا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع فاذا اعطى فبمحض
فضله واحسانه لا بسبب من العبد ولا بتقدم واسطة وان منع فبمحض عدله وحكمته
ومن اعظم عطائه عطاء الهدى والايمان والتوفيق للاعمال الصالحة وليست بحول
العبد وقوته بل بتوفيق الله ومنته ولطفه يضعها فى المحل القابل لها الذى تصلح به
ويمنعها من المحل الذى لا يليق بها ولا تصلح به ولا تزكو عليه وليس منعه لعبده من
التوفيق منعا لحق العبد حتى يكون ذلك ظلما وانما هو محض فضله يمنعه ممن ليس له باهل
كما قال

كما قال تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين وقال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم
ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والعطاء احب الى الله من المنع وقد فتح للعباد من
ابواب رحمته وخزائن جوده وعطائه كل باب ويسر لهم كل طريق يوصل الى ذلك وامرهم
بسلوكها فمن سلكها حصل له من الجود والعطاء ما لا يخطر فى البال ويدور فى الخيال
ومن لم يسلكها بل سد دون نفسه ابوابها وسلك الطرق التى تفضى به الى الحرمان فلا
يلومن الا نفسه

فصل

والنور من اسمائه ايضا ومن ... أوصافه سبحانه ذى البرهان
قال ابن مسعود كلاما قد حكاه ... الدارمى عنه بلا نكران
ما عنك ليل يكون ولا نهار ... زلت تحت الفلك يوجد ذان
نور السموات العلى من نوره ... والارض كيف الشمس والقمران
من نور وجه الرب جل جلاله ... وكذا حكاه الحافظ الطبرانى
منه استنار العرش والكرسى مع ... سبع الطباق وسائر الاكوان
وكتابه نور كذلك عرشه ... نور كذا المبعوث بالفرقان
وكذلك الايمان فى قلب الفتى ... نور على نور مع القرآن

وحجابه نور فلو كشف الحجا ... ب لاحرقت سبحات للاكوان

واذا الى للمفصل يشرق نوره ... فى الارض يوم قيمة الابدان

وكذاك دار الرب جنات العلى ... نور تلألأ ليس ذا بطلان

والنور ذو نوعين مخلوق ووصـ ... ـف ماهما والله متحدان

وكذلك المخلوق ذو نوعين محـ ... ـسوس ومعقول هما شيئان

احذر تزل فتحت رجلك هوة ... كم قد هوى فيها على الازمان

من عابد بالجهل زلت رجله ... فهوى الى قعر الحضيض الدان

لاحت له انوار اثار العبا ... دة ظنها الانوار للرحمن

فاتى بكل مصيبة وبلية ... ما شئت من شطح ومن هذيان

وكذ الحلولى الذى هو خدنه ... من ههنا حقاهما اخوان

ويقابل الرجلين ذو التقطيل والـ ... ـحجب الكثيفة ماهما سيان

ذا فى كثافة طبعه وظلامه ... وبظلمة التقطيل هذا الثانى

والنور محجوب فالاجمال ولا ... هذا له من ظلمة يريان

بسط المصنف رحمه الله الكلام على النور فى هذا الفصل لشدة الحاجة الى معرفته ومعرفة الفرقان فيه وحاصل ما ذكره ان من اسمائه ومعانيه وصفاته النور الذى

استنارت به العوالم كلها فبنوره اشرقت الظلمات فبه استنار العرش والكرسى مع سبع الطباق وسائر الاكوان وكتابه نور ورسوله نور والايمان الذى فى قلوب المؤمنين نور كما قال تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا وقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار نور على نور اى نور الايمان على نور القران على نور الفطرة وقال تعالى واشرقت الارض بنور ربها وحجابه تعالى نور كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله لاينام ولاينبغى له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه رواه مسلم وروى الطبرانى عن عبد الله بن مسعود انه قال ان ربكم عز وجل ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات من نور وجهه الحديث وهذا قال المؤلف قلت تحت الفلك يوجد ذا اى الليل والنهار لا يوجد ان الا تحت الفلك الاسفل لانهما تبع لوجود الشمس وعدمها واما الملأ الاعلى والعالم العلوى

ففى غاية السعة والنور وقوله وكذلك دار الرب نور تتلألأ يشير الى الحديث
الذى رواه ابن ماجه عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لاصحابه الا مشمر الجنة فانها لاخطر لها هم ورب الكعبة نور
يتلألأ وريحانة تهتز ونهر مطرد وقصر مشيد وزوجة حسناء جميلة
وحلل كثيرة وفاكهة خضرة وحبرة فى ابد لا يزول فقال القوم نحن المشمرون
لها فقال قولوا ان شاء الله فقال القوم ان شاء الله ثم ذكر المؤلف ان النور
نوعان نور وصف الله وهو ما اطلقه على نفسه الكريمة فى قوله الله نور
السموات والارض وكما فى قول النبى صلى الله عليه وسلم اعوذ بنور وجهك الذى
اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ان تضلنى انت الحى الذى لا يموت
والانس والجن يموتون وكما فى قوله لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره
من خلقه اى لاحرق نوره وبهاؤه جميع المخلوقات وكما فى قوله تعالى واشرقت الارض
بنور ربها فهذا كله وصف لله تعالى وكذلك كتابه تعالى نور وكلامه صفة من
صفاته واما النور المخلوق فهو محسوس ومعقول فالمحسوس الذى يدرك
بالحواس ويرى عيانا فهو نور الحجاب ونور الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك
من الانوار التى تدخل فى قوله وجعل الظلمات والنور واما النور الذى لا يدرك

بالحس

بالحس وانما هو معقول فهو نور الايمان وشواهد الايقان ونور المعرفة وحقائق الذكر
ونور المحبة فهذا نور معقول يشرح الصدر ويجعل صاحبه فى جنة معجلة لا
يشبهها شئ ولهذا قال فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
وقال تعالى مثل نوره كمشكوة فيها مصباح الآية وقال تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وكما كان النبى
صلى الله عليه وسلم يدعو فى قيام الليل وفى الخروج الى المسجد اللهم اجعل فى قلبى
نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا ومن فوقى نورا
ومن تحتى نورا اللهم اعطنى نورا وزدنى نورا فهذا النور يقوى بحسب المعرفة
وقوة المحبة وكثرة الذكر الذى يتواطا عليه القلب واللسان وبحسب ما يقوم
بالقلب من حقائق العبادات ثم حذر المصنف رحمه الله فى هذا المقام من اغترار
من اغتر من جهلة المتصوفة والمتعبدة حين عملوا على الحقائق واجتهدوا فى التعبد فاستنارت
بذلك قلوبهم وعظم الوارد عليها فظنوا بجهلهم وظلمهم ان تلك انوار الصفات للذات
المقدسة وتوهموا ان ما يجدونه فى اذهانهم موجود فى الخارج والعيان فباحوا بالشطح
والطامات الكبرى وادعوا انهم يشاهدون الله حقا بل ربما وصلوا الى درجة الحلول
فظنوا ان الله حال فيهم ومتصل بهم تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فالمتعبد ان لم

يصحبه العلم والتمييز بين النور المخلوق وغيره طرق باب الحلول ولابد وسبب ذلك
قوة الوارد وضعف المورد وقلة العلم فلهذا حذر المؤلف من هذا فقال احذر تزل
فتحت رجلك هوة اى حفرة تهوى بصاحبها الى اسفل سافلين كما قد هوى فيها على
الازمان من عابد بالجهل زلت رجله فهوى الى قعر الحضيض الدان ثم ذكر السبب فى
قوله لاحت له انوار العبادة ظنها الانوار للرحمن اى ظنها نور الذات من جهله فاتى
بكل مصيبة وبلية من شئت من شطح ومن هذيان والشطح كلام اللغو الذى يجعل
لنفسه منزلة ليست له بل ربما جعل لها من خصائص الالهية شيئا والهذيان
الكلام الذى لاحاصل له بل هو عبث وباطل ثم قال وكذا الحلولى الذى هو خدنه
اى نظيره ومشبهه من هذا الوجه فان المتعبد تعرض له هذه الامور فى بعض
الاوقات وان كان اعتقاده اللازم مخالفا لذلك واما الحلولى فهو الذى يعتقد
حلول الاله تعالى الله عن قوله فى بعض الاشخاص كدعوى النصارى حلوله فى عيسى
ابن مريم ودعوى غلاة الرافضة حلوله فى بعض اهل البيت ودعوى كثير من المنصوفة
حلوله العام والخاص فكل هذا انحراف عن الصراط المستقيم الذى دلت عليه
الكتب ودعت اليه الرسل وكفر وزندقة فهؤلاء حصل لهم الانحراف من جهة
الغلو ويقابل الرجلين اى جهلة المتعبدة والحلولية رجلان آخران أحدهما

المعطل لصفات الله تعالى الذى ينفر القلوب عن معرفة ربها ومحبته والانابة اليه
فان اثبات الصفات شرط لذلك وهذا يسعى فى تعطيلها وتحريفها ونفى حقائقها الثابتة
فهذا محجوب عن الله بتعطيله والثانى صاحب الحجب الكثيفة وهو الذى قد اعرض
عن معرفة ربه وغفل عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا قد اقبل على شهوات نفسه
ولذة جسمه فقلبه مفمور بالشهوات مصدود عن خالقه بالعبادات فهذه ظلمة طبعه
وشهوته ممنوع من نور القلب والانس بربه والابتهاج بمحبته لا يصل اليه النور حتى يفرغ
قلبه من الشواغل الصادة عن مباشرة حقائق الايمان اليه ثم يجعل محبة الله هى غايته
ومقصوده وارادة وجهه هى منتهى طلبه ويجاهد نفسه على تخلقها بهذا الخلق الكامل
ويستعين بربه ويلتجئ اليه فما خاب عبد امل جوده واحسانه وتسبب لذلك بما تصل
اليه قدرته

فصل

وهو المقدم والمؤخر ذاتك الصـ ـفتان للافعال تابعتان
وهما صفات الذات ايضا اذ هما بالذات لا بالغير قامت فاعلم
وكذاك قد غلط المعتزلة الذين ظنـ ـوا صفاته من مخلوقاته
ان الامر هذا والذى قد أمرنا دقت معانيه عن الافهام
والفعل والمفعول شيئ واحد عند المعلم ما هما شيئان
الكلام

فلذاك وصف الفعل ليس لديه الا نسبة علمية ببيان
فجميع اسماء الفعال لديه ليست قط ثابتة ذوات معان
موجودة لكن امور كلها نسب ترى علمية الوجدان
هذا هو التعطيل للافعال كالت عطيل للاوصاف بالميزان
فالحق ان الوصف ليس بمورد التـ قسيم هذا مقتضى البرهان
بل مورد التقسيم ما قد قام بالـ ـذات التي للواحد الرحمن
فهما اذا نوعان اوصاف وافـ ـعال فهذي قسمة التبيان
فالوصف بالافعال يستدعي قيا م الفعل بالموصوف بالبرهان
كالوصف بالمعنى سوى الافعال ما ان بين ذينك قط من فرقان
ومن العجائب انهم ردوا على من اثبت الاسماء دون معان
قامت بمن نهى ووصف هذا محا ل غير معقول لذي الاذهان
وانوا الى الاوصاف باسم الفعل قا لوا لم تقم بالواحد الديان
فانظر اليهم ابطلوا الاصل الذي ردوا به اقوى الهم بسوزان
ان كان هذا ممكنا فكذاك قو ل الخصوم ايضا فذو امكان
والوصف بالتقديم والتاخير اكو نى ودينى هما نوعان

وكلاهما

وكلاهما امر حقيقي ونسـ ـبي ولا يخفى المثال على اولى الاذهان
والله قد رزقك احمد باحـ ـكام واتقان من الرحمن

حاصل ما ذكر المصنف في تفسير المقدم المؤخر انه المقدم من يشاء من خلقه المؤخر له والتقديم والتاخير نوعان كوني قدري وديني شرعي فالاول متعلق بقدرته وحكمته والثاني متعلق برحمته وقدرته وحكمته فالاول لا يدل على رضاه ومحبته والثاني يدل على ذلك وحاصل الاول انه المقدم لبعض مخلوقاته على بعض في الخلق والرزق والتدبير المؤخر لها في ذلك وحاصل الثاني انه المقدم بعض عباده على بعض في العلم والايمان والفضائل الدينية وثواب ذلك وكل من التقديم والتاخير حقيقي ونسبي فالحقيقي ان يكون المخلوق مقدما مطلقا كونا او دينا والنسبي ان يكون ذلك بالنسبة الى ما دونه او الى ما فوقه وقول المؤلف ولا يخفى المثال على اولى الاذهان اما التقديم والتاخير النسبي فظاهر في الكوني والديني كتقديم الاب على الولد وتقديم بعض القرون على بعض وتأخرها عما قبلها وكتقديم موسى في الفضل على غيره من الخلق سوى محمد وابراهيم وتأخره عنهما وكتقديم من فضل غيره بصفة دينية على المفضول وتاخره عن الفاضل واما التقديم والتاخير الحقيقي الديني فظاهر فانه على الاطلاق محمد صلى الله عليه وسلم مقدم بالفضل على سائر الخلق وابليس على الاطلاق مؤخر على سائر

الخلق فانه شر الخليقة قطعا واما التقديم والتاخير الكونى الحقيقى فهذا لايدرى
مثاله الا الله تعالى لانا لانعلم ما اول ما خلق الله مطلقا ولا ندرى آخر ما يخلق الله
تعالى بل لا سبيل لاحد من الخلق الى علم ذلك لان الله لم يزل ولا يزال يفعل لا مبتدا لذلك
ولا منتهى فلا يحيط احد من الخلق بشئ من ذلك ثم ذكر المصنف رحمه الله ان المقدم
والمؤخر من صفات الافعال وذكر الفرق بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية
وانها كلها تشترك بقيامها بالله تعالى لا فرق فى ذلك بين الصفات الذاتية كالسمع
والبصر والعلم والقدرة ونحوها وبين الصفات الفعلية كالاستواء والنزول والكلام
والخلق وانواع التدبير فكلها قائمة بالله تعالا استحالة وجود الفعل من غير ان يتصف
به الفاعل هذا محال عقلا ونقلا ولغة فكيف يضيف تعالى الى نفسه فعلا وهو قائم
بغيره هذا من ابطل الباطل ولكن الفرق بين الصفات الذاتية والفعلية من جهة ان
الصفات الذاتية لا ينفك عنها بوقت ولا حال من الاحوال كالعلم الذى لا يمكن ان يفارقه
بحال وكالقدرة والغنى الذى هو من لوازم ذاته وكالعلو على المخلوقات ونحو ذلك واما
الصفات الفعليه فضابطها هى كل صفة تعلقت بقدرته ومشيئته التى ان شاء
فعلها وان لم يشا لم يفعلها على حسب ما تقتضيه الحكمة الربانية ويعبر عنها بالافعال
الاختيارية اى المتعلقة بارادته واختياره تعالى وذلك كالكلام فانه لم يزل ولا يزال

متكلما

متكلما اذا شاء وكيف شاء لا يخلو وقت من الاوقات السابقة واللاحقة التى منتهى لها
ولا غاية الا هو موصوف بانه متكلم بما يشاء بكلماته الدنية وكلماته القدرية بل لو ان
ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مدادا فكتب بتلك الاقلام
وذلك المداد لنفدت ولم تنفد كلمات الله اذ هى غير مخلوقة ولا متنهية وكذلك الخلق و
التدبير والاحسان لم يزل تعالى بذلك موصوفا وبالاحسان معروفا ولا يزال كذلك ويدل
على ذلك كما ورد فى الكتاب والسنة من انه قال كذا ويقول كذا وفعل كذا ويفعل كذا
مما لا يحاط بذكره لكثرته وانتشاره ويدل على ذلك عقلا انه قد تقرر انه تعالى كامل
القدرة فاذا المشيئة لم ولا يزال كذلك ومن كان كامل القدرة تام الارادة فكيف يخلو
وقت من الاوقات ان يكون معطلا عن فعله وكلامه المترتب على ذلك وقد تقرر ايضا
انه الكامل من جميع الوجوه لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه ومن المعلوم ان الكمال
انما يكون باتصافه كل وقت انه يقول ويفعل ما يشاء فانا لو فرضنا ان يكون معطلا فى
وقت من الاوقات عن افعاله لكان ذلك نقصا يتعالى عنه الرب العظيم الكامل فى ذاته و
اوصافه وافعاله فهذا التقسيم بين صفات الذات وصفات الافعال هو الحق الذى تدل
عليه الادلة والبراهين فليس الوصف مورد التقسيم فانها كلها قائمة بالله قد اتصف بها
وانما مورد التقسيم ما قد قام بذات الله من الصفات اللازمة التى لا ينفك عنها أبدا

والصفات المتعلقة بقدرته ومشيئته وهي الصفات الفعلية ثم انكر المصنف
على من قسمها غير هذا التقسيم ممن ينتسب الى الاشعري وغيره من اهل الكلام ان لم
يرد ما ذكره من هذا التقسيم بل ارادوا ان صفات الافعال لم تقم بالله ولم يتصف
بها وزعموا ان ذلك يقتضي حلول الحوادث في ذات الله فنفوا بهذا اللفظ كل صفة
فعلية فانكروا استوائه على عرشه ونزوله الى السماء الدنيا وافعاله التي يوجدها
شيئا فشيئا وبنوا على هذا ان الكلام عبارة عن المعنى النفسي القديم الذي لا يعقل ونفوا
ان يكون متكلما في كل وقت بما شاء واذا شاء وهذا التعطيل لافعال الله نظير
تعطيل الجهمية ومن تبعهم لجميع صفات الله الذاتية والفعلية ولا فرق بين الامرين
ولهذا تعجب المصنف من الاشعرية الذين اثبتوا الصفات الذاتية وانكروا غاية
الانكار على الجهمية الذين اثبتوا الاسماء دون المعاني والصفات وحقيق بهم أن
ينكروا عليهم فان اثبات الاسماء دون المعاني باطل عقلا ونقلا ولكن الاشعرية نقضوا
اصلهم الذي ردوا به على الجهمية في صفات الافعال وعطلوا الافعال التي وصف الله
بها نفسه ووصفه بها رسوله فتناقضوا في هذا الاصل فاستطالت عليهم الجهمية
بما سلموه لهم من الاصل الذي نفوا به الافعال لله وقالوا الفعل هو المفعول فحرفوا
نصوص الكتاب والسنة ونزلوها على هذا الاصل الذي اصلوه وهو ان الفعل هو

المفعول

المفعول وهذا باطل في الشرع المنافاته له فاسد في العقل لانه محال ان يوجد مفعول من
دون فعل متصف به الفاعل ولهذا الزمهم المؤلف انه ان كان قولكم هذا ممكنا على الفرض
والتقدير فكذلك قول خصومكم الجهمية في اصلهم الذي ردوا به صفات الله يكون
ممكنا وان كان قول خصومكم باطلا فقولكم ايضا باطل اذ لا فرق بينهما بوجه من الوجوه
وقول المؤلف في حكايته لقول هذه الطائفة فلذلك اي لاجل ان الفعل والمفعول شيء
واحد عندهم ليس وصف الفعل عندهم الا نسبة عارضة الوجد ان اي تنسب اليه باللفظ
وهي مفقودة فيه وهكذا سائر صفات الافعال وهل اعظم من هذا التعطيل وابطل من
قول يلزم منه تعطيل الافعال عن فاعلها وتعطيل الكلام عن المتكلم فيه فالوصف بالفعل
يستدعي قيامه بالموصوف قطعا والذي اوجب لهذه الطائفة النافية لصفات
افعاله انهم ظنوا ان اثباتها يقتضي الحدوث لها فاذا كانت حادثة كان من قامت به
حادثا ايضا وهذا غير لازم لاثباتها فانه لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة الكاملة
على الاقوال والافعال ومشيئة ايضا نافذة لا مانع لها بوجه من الوجوه وحدوث افعاله
واقواله شيئا فشيئا لا محذور فيه بل هو الكمال كما تقدم

قال شيخ الاسلام ابن تيمية واما قول القائل لو قامت به الافعال لكان محلا
للحوادث والحادث ان اوجب له كما لا فقد عدم قبله وهو نقص وان لم يوجب له

كما لا لم يجز وصفه به فيقال اولا هذا معارض بنظيره من الحوادث التي
يفعلها فان كلاهما حادث بقدرته ومشيئته وانما يفترقان في المحل وهذا التقسيم وارد على
الجهتين وان قيل في الفرق المفعول لا يتصف به بخلاف الفعل القائم به قيل
في الجواب بل هم يصفونه بالصفات الفعلية ويقسمون الى فعلية ونفسية فيصفونه
بكونه خالقا رازقا بعد ان لم يكن كذلك وهذا التقسيم وارد عليهم وقد اورده عليهم كما
الفلاسفة في مسألة حدوث العالم فزعموا ان صفات الافعال ليست صفات كمال ولا
نقص فيقال لهم كما قالوه هؤلاء في الافعال التي تقوم به انها ليست كمالا ولا نقصا
فان قيل لا بد ان يتصف اما بنقص او كمال قيل ولا بد ان يتصف من الصفات
الفعلية اما بنقص او كمال فان جاز خلو احدهما عن القسمين امكن الدعوى في الاخر مثله
والا فالجواب مشترك واما المتفلسفة فيقال لهم القديم تحله الحوادث ولا يزال
محلا للحوادث عندكم فليس القديم ما نفاه من ذلك عندكم بل عندكم هذا هو الكمال
الممكن الذي لا يمكن غيره وانما نفوه عن واجب الوجود لظنهم اتصافه به وقد اشتبه
على ابطال قولهم في ذلك لا سيما وما قامت به الحوادث المتعاقبة يمتنع وجوده عن
علته التامة ازلية موجبة لمعلولها فان العلة التامة الموجبة يمتنع ان يتأخر عنها
معلولها او شيء من معلولها ومتى تأخر عنها شيء معلولها كانت علة له بالقوة لا بالفعل

واحتاج

واحتاج مصيرها علة بالفعل الى سبب آخر فان كان المخرج لها من القوة الى الفعل غيرها
هو نفسه صار فيه ما هو بالقوة وهو المخرج له الى الفعل وذلك يستلزم ان يكون قابلا
وفاعلا وهم يمنعون ذلك لامتناع الصفات التي يسمونها التركيب وان كان المخرج له غيره
كان ذلك ممتنعا بالاتفاق لان ذلك ينافي وجوب الوجود لانه يتضمن الدور
المعي والتسلسل في المؤثرات وان كان هو الذي صار فاعلا للممكن بعد ان لم
يكن امتنع ان يكون علة تامة ازلية فقد حدث شيء من العالم يستلزم كونه علة تامة
في الازل وذلك يستلزم ان لا يحدث عنه شيء بوسط وبغير وسط وهذا مخالف
للمشهود ويقال ثانيا في ابطال قول من جعل حدوث الحوادث ممتنعا هذا
منقوض بما يتجدد من الاضافات والاحوال والاعدام فان الناس متفقون على تجدد هذه
الامور وفرق الآمدي وغيره بينهما من جهة اللفظ فيقال هذه حوادث وهذه
متجددات والفروق اللفظية لا تؤثر في الحقائق العلمية فيقال تجدد هذه المتجددات
انما اوجب لها كمالا لا فقد عدمه قبله وهو نقص وان لم يوجب له كمالا لم يجز وصفه به
ويقال ثالثا الكمال الذي يجب اتصافه به هو الممكن الوجود واما الممتنع فليس من
الكمال الذي يتصف به موجود والحوادث المتعلقة بقدرته ومشيئته يمتنع وجودها
جميعا في الازل فلا يكون انتفاؤها في الازل نقصا لان انتفاء الممتنع ليس بنقص ويقال

رابعا اذا قدر ذات تفعل شيئا بعد شيئ وهي قادرة على الفعل بنفسها وذات لا يمكنها
ان تفعل بنفسها شيئا بل هي كالجماد الذي لا يمكنه بحال ان يتحرك كانت الاولى اكمل من
الثانية فعدم هذه الافعال نقص بالضرورة اما وجودها بحسب الامكان فهو الكمال
ويقال خامسا لا نسلم ان عدم هذه مطلقا نقص ولا كمال ولا وجودها مطلقا
نقص ولا كمال بل وجودها في الوقت الذي اقتضته مشيئته وقدرته وحكمته وجودها
فيه هو الكمال ووجودها بدون ذلك نقص وعدمها مع اقتضاء الحكمة عدمها كمال
ووجودها حين اقتضت الحكمة وجودها هو الكمال واذا كان الشيئ الواحد
يكون وجوده تارة كمالا وتارة نقصا وكذلك عدمه بطل التقسيم للمطلق وهذا
كما ان الشيئ يكون رحمة بالخلق اذا احتاجوا اليه كالمطر ويكون عذابا اذا ضرهم
فيكون انزاله عند حاجتهم رحمة واحسانا والمحسن الرحيم متصف بالكمال ولا
يكون ترك انزاله حيث يضرهم نقصا بل هو ايضا رحمة واحسان فهو محسن بالوجود
حيث كان رحمة وبالعدم حيث كان العدم رحمة انتهى كلامه رحمه الله وقل
برهن فيه بالدليل العقلي ما به يتبين به الحق للمبين فجزاه الله خيرا واحسن
اليه الجزاء والمقصود انه تبارك وتعالى هو المقدم المؤخر قدرا وشرعا تقديما
وتاخيرا تابعا لحكمته وحمده تعالى

فصل

فصل

اعلم ان المصنف رحمه الله قد استوفى في معظم شرح الاسماء الحسنى المذكورة في الكتاب والسنة
وما لم يذكره منها فانه ذكر نظيره او ما يدل عليه ويستلزمه فانه لم يذكر المتين وهو في
معنى القوي القدير ولم يذكر الاعلى وهو في معنى العلي ولم يذكر الرحمن الرحيم الكريم
الرؤف وهي في معنى البر الجواد الوهاب ولم يذكر الرب والاله والملك المالك وقد ذكر
في البدائع انها متضمنة لكثير من الاسماء الحسنى فقال الرب هو القادر
الخالق البارئ المصور الحي القيوم العليم السميع البصير المحسن المنعم الجواد المعطي
المانع الضار النافع المقدم المؤخر الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويسعد من
يشاء ويشقي من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء الى غير ذلك من معاني
ربوبيته التي له منها ما يستحق من الاسماء الحسنى واما الملك فهو الآمر الناهي المعز
المذل الذي يصرف امور عباده كما يحب ويقلبهم كما يشاء وله من معنى الملك ما يستحقه
من الاسماء الحسنى كالعزيز والجبار المتكبر الحكم العدل الخافض الرافع المعز المذل
العظيم الجليل الكبير الحسيب المجيد الوالي المتعالي مالك الملك المقسط الجامع الى غير
ذلك من الاسماء العائدة الى الملك واما الاله فهو الجامع لجميع صفات
الكمال ونعوت الجلال فقد حاز هذا الاسم جميع الاسماء الحسنى ولهذا كان القول الصحيح

ان الله اصله الاله كما هو قول سيبويه وجمهور اصحابه الا من شذ منهم وان
اسم الله تبارك وتعالى هو الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنى والصفات العلى
فقد شملت هذه الاسماء الثلاثة جميع معاني اسمائه الحسنى انتهى

فصل

هذا ومن اسمائه ما ليس يفـ ـرد بل يقال اذا اتى بقـ ـران
وهي التي تدعى بمزدوجاتها افرادها خطر على الانسان
اذ ذاك موهم نوع نقص جل ربّـ ـي العرش عن عيب وعن نقصان
كالمانع المعطي وكالضار الذي هو نافع وكماله الامـ ـران
ونظير هذا القابض المقرون باسـ ـمه الباسط اللفظان مقترنان
وكذا المعز مع المذل وخافض مع رافع لفظان مزدوجان
وحديث افراد اسم منتقم فمـ ـوقوف كما قد قاله ذو العرفان
ما جاء في القرآن غير مقيد بالمجرمين وجاء ذو نوعان

قال المصنف في بدائع الفوائد اسماؤه تعالى منها ما يطلق عليه مفردا ومقترنا
بغيره وهو غالب الاسماء كالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم وهذا
يسوغ ان يدعى به مفردا او مقترنا بغيره فتقول يا عزيز يا حكيم يا غفور يا رحيم

وان يفرد

وان يفرد كل اسم وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه به يسوغ لك الافراد
والجمع ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقرونا بمقابله كالمانع والضار والمنتقم فلا
يجوز ان يفرد هذا عن مقابله فانه مقرون بالمعطي والنافع والعفو فهو المعطي المانع
الضار النافع العفو المنتقم المعز المذل لان الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله
لانه يراد به انه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم عطاء ومنعا ونفعا
وضرا وعفوا وانتقاما واما ان يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والاضرار فليسوغ فهذه
الاسماء المزدوجة تجري الاسمان منها مجرى الاسم الواحد[٢] ولذلك لم تجئ مفردة ولم تطلق عليه الا
مقترنة فاعلمه فلو قلت يا مذل يا ضار يا نافع او اخبرت بذلك لم تكن مثنيا عليه ولا حامدا له
حتى تذكر مقابله وهذا كلامه رحمه الله وهو شرح هذه الابيات التي ذكرها هنا وقوله
ولم تطلق عليه الا مقترنة وهنا قال وحديث افراد اسم منتقم فموقوف كما قاله اهل المعرفة فان
الثابت في الصحيحين ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة ولم يذكر عددها
وانما ذكرت في رواية الترمذي مرفوعة وموقوفة والموقوف اصح فان كان موقوفا لم ينقض هذه
القاعدة واما مجيء المنتقم في القرآن فانه لم يطلق عليه اطلاقا وانما قيد الله بالانتقام من
المجرمين منتقمون وجاء في القرآن بلفظ ذو نوعان يحتمل انه في موضعين ويحتمل انه
نوعان اي نوع مقيد بالمجرمين ومرة لم يقيد بذلك كما في قوله ان الله عزيز ذو انتقام

[٢] الذي عليه فصل حرف عن بعض وان تقدد جامدة مجرى الاسم الواحد صح

وقال تعالى ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام وقال تعالى فانتقمنا
من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين

فصل

ودلالة الاسماء انواع ثلا ث كلها معلومة ببيان
ولت مطابقة كذاك تضمنا وكذا التزاما واضح البرهان
اما مطابقة الدلالة فهي أن الاسم يفهم منه مفهومان
ذات الاله وذلك الوصف الذي يشتق منه الاسم بالميزان
لكن دلالته على احداهما بتضمن فافهمه فهو بيان
وكذا دلالته على الصفة التي ما اشتق منها فالتزام دان
واذا اردت لذا مثالا بينا فمثال ذلك لفظة الرحمن
ذات الاله ورحمة مدلولها فهما لهذا اللفظ مدلولان
احداهما بعض لذا الموضوع فهـ ـي تضمن ذا واضح التبيان
لكن وصف الحي لازم ذلك المـ ـعنى لزوم العلم للرحمن
فلذا دلالته عليه بالتزا م بين والحق ذو تبيان

هذه القاعدة التي ذكرها المصنف ليست خاصة بدلالة الاسماء الحسنى على
معانيها

معانيها بل عامة في جميع الالفاظ بالنسبة لمدلولها وضابط ذلك ان للدلالة
نوعان لفظية وعقلية فاللفظية اما ان تعطي الالفاظ كما تناولته من المعاني
والاوصاف فتسمى دلالة مطابقة لان اللفظ طابق المعنى من غير زيادة ولا نقص واما ان
تعطي الالفاظ بعض ما تناولته من المعاني فتسمى دلالة تضمن لان المعنى بعض اللفظ
وداخل في ضمنه واما الدلالة العقلية فهي خاصية العقل والفكر لعدم دلالة اللفظ
بمجرده عليها وانما ينظر العقل في ذلك المعنى الذي دل عليه اللفظ وما يلزمه من المعاني
الخارجية وما يشترط له من الشروط التي لا يتم بدونها فهذه قاعدة اصولية تجري
في جميع الالفاظ وتعتبر في كل موضع وذكر المصنف هنا منها ما يتعلق بالاسماء الحسنى
فاخبر ان الاسم من اسمائه الكريمة ان دل على الذات الالهية والوصف الذي اشتق
منها فدلالته دلالة مطابقة وان دل على احد الامرين اما الذات وحدها فدلالته دلالة
تضمن وان دل على صفة اخرى لازمة لما دلت عليه فدلالته دلالة التزام ومثاله من الاسما
الحسنى لفظة الرحمن فان دلالته على ذات الاله وعلى رحمته الواسعة دلالة مطابقة
ودلالته على الذات وحدها او على الرحمة وحدها دلالة تضمن ودلالته الحياة الكاملة
وعلمه المحيط دلالة التزام لا توجد الرحمة من دون حياة الراحم وعلمه بحال المرحوم وما
يوصل اليه من الرحمة وكذلك ما تقدم من استلزام الملك جميع صفات الملك الكامل الذي

لا يتم بدونها واستلزام الرب جميع صفات الربوبية واستلزام الاله جميع صفات
الالوهية وكثير من اسمائه الحسنى يستلزم عدة اوصاف كالكبير والعظيم والمجيد
والحميد والصمد وحيث ذكر المصنف هذه القاعدة المتعلقة باسمائه الحسنى فلنضف
الى ذلك عدة قواعد تتعلق بالاسماء والصفات تتميما للفائدة ذكرها في بدائع الفوائد
قال رحمه الله تعالى فائدة جليلة ما يجري صفة او خبرا على الرب
تبارك وتعالى اقسام احدها ما يرجع الى نفس الذات كقولك ذات وموجود وشيء
الثاني ما يرجع الى صفاته ونعوته كالعليم والقدير والسميع الثالث الى افعاله
كالخالق والرازق الرابع ما يرجع الى التنزيه المحض ولا بد من تضمنه ثبوتا اذ لا كمال
في العدم المحض كالقدوس السلام الخامس ولم يذكره اكثر الناس وهو اسم الدال
على جملة الاوصاف عديدة لا يختص بصفة معينة بل دالة على معاني لا منتهى لمفرد نحو
المجيد العظيم الصمد فان المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ولفظه
يدل على هذا فانه موضوع للسعة والكثرة والزيادة ومنه استمجد المرخ والعفار
وامجد الناقة علفا ومنه رب العرش المجيد صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه
وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنا بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علمناه صلى
الله عليه وسلم لانه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء وكثرته في دوامه

فاتى

فاتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه كما تقول اغفر لي وارحمني انك انت الغفور
الرحيم ولا يحسن انك انت السميع البصير فهو راجع الى التوسل اليه باسمائه وصفاته
وهو اقرب الوسائل واحبها الى الله ومنه الحديث الذي في المسند والترمذي
الظوا بيا ذا الجلال والاكرام ومنه اللهم اني اسالك بان لك الحمد لا اله الا انت
المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام فهذا سؤاله وتوسل اليه بحمده
وانه لا اله الا هو المنان فهو توسل اليه باسمائه وصفاته وما احق ذلك بالاجابة
واعظمه موقعا عند المسئول وهذا باب عظيم من ابواب التوحيد اشرنا اليه
اشارة وقد فتح لمن بصره الله فلنرجع الى المقصود وهو وصفه تعالى بالاسم المتضمن
لصفات عديدة فالعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال وكذلك
الصمد قلت وقد تقدم وجه ذلك في الصمد ثم قال السادس صفة تحصل
من اقتران احد الاسمين او الوصفين بالاخر وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو
الغني الحميد الغفور القدير الحميد المجيد وهكذا غاية الصفات المقترنة والاسماء
المزدوجة في القرآن فان الغني صفة كمال والحمد كذلك واجتماع الغني مع الحمد
كمال آخر فله ثناء من غناه وغناء من حمده وثناء من اجتماعهما وكذلك الغفور
القدير والحميد المجيد والعزيز الحكيم فتأمله فانه من اشرف المعارف واما صفات

السلب المحض فلا تدخل في اوصافه تعالى الا ان تكون متضمنه لثبوت كالاحد
المتضمن لانفراده بالربوبية والالهية والسلام المتضمن لبرائته من كل نقص وبنا قض
كماله وكذلك الاخبار عنه بالسلوب هو لتضمنها ثبوتا كقوله تعالى لا تاخذه سنة ولا
نوم فانه متضمن لكمال حياته وقيوميته وكذلك قوله تعالى وما مسنا من لغوب
متضمن لكمال قدرته وكذلك وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في الارض ولا في السماء
متضمن لكمال علمه وكذلك قوله لم يلد ولم يولد متضمن لكمال صمديته وغناه
وكذلك قوله ولم يكن له كفوا احد متضمن لتفرده بكماله وانه لا نظير له وكذلك قوله
لا تدركه الابصار متضمن لعظمته وانه جل ان يدرك بحيث يحاط به وهذا مطرد
في كل ما وصف به نفسه من السلوب ويجب ان يعلم هنا أمور
احدها ان ما يدخل في باب الاخبار عنه تعالى او سمع مما يدخل في باب اسمائه
وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه فان هذا يخبر به عنه ولا يدخل في
باب اسمائه الحسنى وصفاته العلى الثاني ان الصفة اذا كانت منقسمة
الى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في اسمائه بل يطلق عليه منها كمالها وهذا كالمريد
والصانع والفاعل فان هذه الالفاظ لا تدخل في اسمائه وهذا غلط من سماه
بالصانع عند الاطلاق بل هو الفعال لما يريد فان الارادة والفعل والصنع منقسمة

وهذا

وهذا غلط من سماه بالصانع عند الاطلاق بل هو الفعال لما يريد فان الارادة
والفعل والصنع منقسمة ولهذا انما اطلق على نفسه من ذلك اكمله فعلا وخبرا
الثالث انه لا يلزم من الاخبار عنه بالفعل عنه مقيدا ان يشتق له اسم
مطلق كما غلط فيه بعض المتاخرين فجعل من اسمائه الحسنى المضل الفاتن الماكر تعالى
الله عن قوله فان هذه الاسماء لم يطلق عليه سبحانه منها الا افعال مخصوصة معينة
فلا يجوز ان يسمى باسمائها المطلقة الرابع ان من اسمائه الحسنى هي اعلام
واوصاف والوصف فيها لا ينافي العلمية بخلاف اوصاف العباد فانها تنافي
علميتهم لان اوصافهم مشتركة ففائدتها العلمية المحضة بخلاف اوصافه تعالى
الخامس ان الاسم من اسمائه له دلالات دلالة على الذات والصفة بالمطابقة
ودلالة على احدهما بالتضمن ودلالة على الصفة الاخرى بالالتزام السادس ان
اسمائه الحسنى لها اعتباران اعتبار من حيث الذات واعتبار من حيث الصفات
فهي باعتبار الاول مترادفة وباعتبار الثاني متباينة السابع ما يطلق
عليه في باب الاسماء والصفات توقيفي وما يطلق عليه في الاخبار لا يجب ان يكون
توقيفيا كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه فهذا افصل الخطاب في مسألة
اسمائه هل هي توقيفية او يجوز ان يطلق عليه منها ما لم يرد به السمع الثامن

ان الاسم اذا اطلق عليه جاز ان يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به عنه فعلا ومصدرا
نحو السميع البصير القدير يطلق عليه منه اسم السمع والبصر والقدرة ويخبر عنه
بالافعال من ذلك نحو قد سمع الله فقد رنا فنعم القادرون هذا ان كان الفعل متعديا
فان كان لازما لم يخبر عنه به نحو الحي بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال
حيي التاسع ان افعال الرب تعالى صادرة عن اسمائه وصفاته واسماء
المخلوقين صادرة عن افعالهم فالرب تعالى فعاله عن كماله والمخلوق كماله عن فعاله
فاشتقت له الاسماء بعد ان كمل بالفعل والرب تعالى لم يزل كاملا فحصلت افعاله عن
كماله لانه كامل بذاته وصفاته فافعاله صادرة عن كماله كمل ففعل والمخلوق فعل فكمل الكمال
اللائق به العاشر احصاء الاسماء الحسنى والعلم بها اصل للعلم بكل معلوم فان
المعلومات سواه اما ان تكون خلقا له تعالى او امرا اما علم بما كونه او علم بما شرعه
ومصدر الخلق والامر عن اسمائه الحسنى وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه فالامر
كله مصدره عن اسمائه الحسنى وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد و
الرأفة والرحمة بهم والاحسان اليهم بتكميلهم بما امرهم به ونهاهم عنه فامره كله
مصلحة وحكمة ورحمة ولطف واحسان اذ مصدره اسماؤه الحسنى وفعله كله
لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة اذ مصدره اسماؤه الحسنى فلا تفاوت

في خلقه ولا عبث ولم يخلق خلقه باطلا ولا سدى ولا عبثا وكما ان كل موجود
سواه بايجاده فوجود من سواه تابع لوجوده فالعلم باسمائه واحصاؤه اصل لسائر
العلوم فمن احصى اسمائه كما ينبغي للمخلوق احصى جميع العلوم اذ احصاء اسمائه
اصل لاحصاء كل معلوم لان المعلومات هي من مقتضياتها ومرتبطة بها فتأمل
صدور الخلق والامر عن علمه وحكمته تعالى ولهذا لا تجد فيها خللا ولا تفاوتا
لان الواقع فيما يأمره به العبد او يفعله اما ان يكون لجهله به او لعدم حكمته واما
الرب تعالى فهو العليم الحكيم فلا يعرو فعله ولا امره خلل ولا تفاوت ولا تناقض
الحادي عشر ان اسمائه كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك اصلا وقد تقدم ان
من اسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل نحو الخالق الرازق والمحي والمميت وهذا يدل
على افعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها لانه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم ولم
تكن اسماؤه كلها حسنى وهذا باطل فالشر ليس اليه فكما لا يدخل في صفاته ولا
يلحق ذاته فلا يدخل في افعاله فالشر ليس اليه لا يضاف اليه فعلا ولا وصفا وانما
يدخل في مفعولاته وفرق بين الفعل والمفعول فالشر قائم بمفعوله المباين له لا بفعله
الذي هو فعله فتأمل هذا فانه خفي على كثير من المتكلمين وزلت به اقدام وضلت
فيه افهام وهدى الله اهل الحق لما اختلفوا فيه باذنه والله يهدي من يشاء

الى صراط مستقيم الثالث عشر في بيان مراتب احصاء اسماء الله تبارك
وتعالى التي من احصاها دخل الجنة هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح
المرتبة الاولى احصاء الفاظها وعددها المرتبة الثانية فهم معانيها ومداركها
المرتبة الثالثة دعاء بها كما قال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وهو
مرتبتان احداهما دعاء ثناء وعبادة والثانى دعاء طلب ومسألة لا يثنى عليه
الا باسمائه الحسنى وصفاته العلى وكذلك لا يسأل الا بها فلا يقال يا موجودا ويا
شيئ اويا ذات اغفر لى وارحمنى بل يسأل فى كل مطلوب باسم يكون مقتضيا
لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلا اليه بذلك الاسم ومن تأمل ادعية الرسل
ولا سيما خاتمهم وامامهم صلوات الله وسلامه عليهم وجدها مطابقة لهذا
الى ان قال الثالث عشر اختلف النظار فى الاسماء التى تطلق على الله وعلى
العباد كالحى والسميع والبصير والعليم والعزيز والملك ونحوها فقالت طائفة
من المتكلمين هى حقيقة فى العبد مجاز فى الرب وهذا قول غلاة الجهمية وهو اخبث
الاقوال الثانى مقابله وهو انها حقيقة فى الرب مجاز فى العبد وهذا قول ابى
العباس الناشى الثالث انها حقيقة فيهما وهذا قول الاكثرين وهو الصواب
واختلاف الحقيقتين فيها لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما والرب تعالى منها ما يليق

بجلاله وللعبد منها ما يليق به وليس موضع التعرض لما أخذ هذه الاقوال
وابطال باطلها وتصحيح صحيحها فان الغرض الاشارة الى امور ينبغى معرفتها
فى هذا الباب ولو كان المقصود بسطها لاستدعت سفرين او اكثر الرابع
عشر ان الاسم والصفة من هذا النوع له ثلاث اعتبارات اعتبار من
حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب وبالعبد الاعتبار الثانى اعتباره
مضافا الى الرب مختصا به الثالث اعتباره مضافا الى العبد مقيدا به فالاسم
الاسم لذاته وحقيقته كان ثابتا للرب والعبد وللرب منه ما يليق بكماله وللعبد
ما يليق به وهذا كاسم السميع الذى يلزم ادراك المسموعات والبصير الذى يلزم رؤية
المبصرات والعليم والقدير وسائر الاسماء فان شرط صحة اطلاقها حصول معانيها
وحقائقها للموصوف بها كما لزم هذه الاسماء لذاتها فاثباتها للرب تعالى
لا محذور فيه بوجه بل يثبت له على وجه لا يماثل فيه خلقه ولا يشابههم فمن نفاه
عنه لاطلاقه على المخلوق الحد فى اسمائه وجحد فى صفات كماله ومن اثبته على وجه
يماثل فيه خلقه فقد شبهه بخلقه ومن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن اثبته
له على وجه لا يماثل فيه خلقه بل كما يليق بجلاله وعظمته فقد برئ من فرث التشبيه
ودم التعطيل وهذا طريق السنة وما لزم الصفة لاضافتها الى العبد وجب نفيه

عن الله كما يلزم حياة العبد من النوم والسنة والحاجة الى الغذاء ونحو ذلك وكذلك
ما يلزم ارادته من حركة نفسه في جلب ما ينفع به ودفع ما يتضرر به وكذلك ما يلزم
من علوه من احتياجه الى ما هو عال عليه وكونه محمولا به مفتقرا اليه محاطا به كل هذا
يجب نفيه عن القدوس السلام تبارك وتعالى وما لزم الصفة من جهة
اختصاصه تعالى بها فانه لا يثبت للمخلوق بوجه كعلمه الذي يلزمه القدم
والوجوب والاحاطة بكل معلوم وقدرته وارادته وسائر صفاته فان ما يخص
نسبها لا يمكن للمخلوق فاذا احطت بهذه القاعدة خبرا وعقلتها
كما ينبغي خلصت من الافتقار اللتين هما اصل بلاء المتكلمين آفة التعطيل
وآفة التشبيه فانك اذا وفيت هذا المقام حقه من التصور اثبت لله
الاسماء الحسنى والصفات العلى حقيقة فخلصت من التعطيل ونفيت عنها
خصائص المخلوقين ومشابهتهم فخلصت من التشبيه فتدبر هذا الموضع
واجعله اخيتك التي ترجع اليها في هذا الباب والله الموفق للصواب

الخامس عشر ان الصفة متى قامت بموصوف لزمها اربعة امور امران
لفظيان وامران معنويان فاللفظيان ثبوتي وسلبي فالثبوتي ان
يشتق للموصوف منها اسم والسلبي ان يمتنع الاشتقاق لغيره والمعنويان

ثبوتي وسلبي فالثبوتي ان يعود حكمها الى الموصوف ويخبر بها عنه والسلبي ان
لا يعود حكمها الى غيره ولا يكون خبرا عنه وهذه قاعدة عظيمة في معرفة الاسماء والصفات
فلنذكر من ذلك مثالا واحدا وهي صفة الكلام فانها اذا قامت بمحل كان هو المتكلم
دون من لم يقم به واخبر عنه بها وعاد حكمها اليه دون غيره فيقال قال وأمر ونهى
ونادى وناجى وخاطب وتكلم وكلم ونحو ذلك وامتنعت هذه الاحكام لغيره
فيستدل بهذه الاحكام والاسماء على قيام الصفة به وسلبها غيره على عدم قيامها
به وهذا اصل اهل السنة الذي ردوا به على المعتزلة والجهمية وهو من اصح الاصول
طردا وعكسا السادس عشر ان الاسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد
بحد الى اخر ما ذكره مما تقدم مضمونه ومما سيأتي له تتمة في الفصل بعده

فصل

(في بيان حقيقة الالحاد في اسماء رب العالمين وذكر اقسام الملحدين)

والمقصود من هذا الفصل حفظ اسماء الله واوصافه عن ان تحرف او تغير او
ينقص منها شيء او يخس من كمال شيء من اوصافه او تعطل او تمثل ولهذا
ذكر الاصل الجامع في هذا بقوله

يعني ان اسماءه كلها اوصاف مدح وحمد وثناء وهي مشتقة من معانيها ثابتة له
حقائقها ولذلك كانت حسنى فلو كانت اعلاما محضة لم تكن حسنى ولو كانت دالة
على نقص او بعضها دالا على ذلك لما كانت كلها حسنى ولهذا اذا كان الوصف محتملا للمدح
ولغيره لم يدخل بمطلقه في اوصاف الله واسماءه كالمريد والصانع والفاعل ونحو ذلك
قال المصنف في البدائع الثامن عشر ان الصفات ثلاثة انواع صفات
كمال وصفات نقص وصفات لا تقتضي كمالا ولا نقصا وان كانت التسمية التقديرية
يقتضي قسمارابعا وهو ما يكون كمالا ونقصا باعتبارين والرب تعالى منزه عن الاقسام
الثلاثة وموصوف بالقسم الاول فصفاته كلها صفات كمال محض فهو موصوف من
الصفات باكملها وله من الكمال اكمله وهكذا اسماؤه الدالة على صفاته هي احسن
الاسماء واكملها فليس في الاسماء احسن منها ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي
معناها وتفسير الاسم منها بغيرها ليس تفسير ابمرادف محض بل هو على سبيل التقريب
والتفهيم واذا عرفت هذا فله تعالى من كل صفة كمال احسن اسم واكمله واتمه معنى
وابعده وانزهه عن شائبة عيب او نقص انتهى

اياك والالحاد فيها انه كفر معاذ الله من كفر ان
وحقيقة الالحاد فيها الميل بها الاثبات شرك والتعطيل والتنقيص كفر ان

فالملحدون اذا ثلاث طوائف * فعليهم غضب من الرحمن

لما بين ان اسمائه تعالى كلها اوصاف مدح حذر مما ينافي ذلك وهو الالحاد واخبر انه
كفر كما قال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه
سيجزون ما كانوا يعملون وانما كان الالحاد فيها كفرا لانه رد لما اخبر الله به ورسوله
من صفات الله المقدسة ونعوته الكاملة بالميل فيها بالاشراك وجعل له
ولغيره كما يفعله المشركون او نفي معانيها وحقائقها كما يفعله المعطلة او انكارها
جملة كما يفعله الزنادقة ولهذا اخبر المصنف ان الملحدين منقسمون الى ثلاثة
اقسام كلهم حل عليهم غضب الله وعذابه قال في بدائع الفوائد
العشرون وهو الجامع لما تقدم من الوجوه وهو معرفة الالحاد في اسمائه
حتى لا يقع فيه قال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون
في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون والالحاد منها هو العدول بها وبجهاتها ومعانيها
عن الحق الثابت لها وهو مأخوذ من الميل كما يدل مادة ل ح د فمنه اللحد وهو
الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط ومنه الملحد في الدين المائل عن
الحق الى الباطل ومنه قال ابن السكيت الملحد المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس
منه ومنه الملتحد وهو ملتحل من ذلك وقوله تعالى ولن تجد من دونه ملتحدا

اى من تقدل اليه وتهرب اليه وتلتجى اليه وتبتهل اليه عن غيره تقول العرب
التحد هذا فلان الى فلان اذا عدل اليه اذا عرف هذا فالالحاد فى
اسمائه تبارك وتعالى انواع ان يسمى الاصنام بها كتسميتهم اللات من الاهية والعزى
من العزيز وكتسميتهم الصنم الها وهذا الالحاد حقيقة فانهم عدلوا باسمائه الى
اوثانهم وآلهتهم الباطلة ولهذا قال هنا

المشركون لانهم سموا بها * اوثانهم قالوا اله ثان

هم شبهوا المخلوق بالخلاق عكـ * ـس مشبه الخلاق بالانسان

اى يدخل فى الالحاد فى اسماء الله من جهة التشريك فى التسمية المشركون الذين
شبهوا المخلوقات الناقصات من جميع الوجوه بالخالق الرب العظيم الكامل من كل
وجه فسموها الهة ونحلوا لها من اسماء الله ما نحلوا كما تقدم ويدخل فيه
ايضا المشبهة من غلاة الرافضة واليهود الذين شبهوا الخالق تعالى بالمخلوق
فحملوا ما جاءت به نصوص الانبيا من اوصاف كماله على ما يعقلونه من صفات
المخلوقين واعطوا صفاته خصائص صفات المخلوقين وهذا من اعظم الالحاد فى
اسمائه وآياته

وكذاك اهل الاتحاد فانهم * اخوانهم من اقرب الاخوان

اعطوا

اعطوا الوجود جميعه اسمائه * اذ كان عين الله ذا السلطان

والمشركون اقل شركا منهم * هم خصصوا ذا الاسم بالاوثان

ولذاك كانوا اهل شرك عندهم * لو عمموا ما كان من كفران

اى وكذلك يدخل فى هؤلاء الملحدين الذين اشركوا بين المخلوقين والخالق ببعض
الصفات اهل الاتحاد الذين عم شرهم وطفى كفرهم وتلطفوا غاية التلطف الى
اضلال الناس بكفرياتهم الشنيعة التى لو اظهروها على صورتها وحقيقتها لرأى
الناس منها انكار رب العالمين جملة وانكار الرسل والكتب جملة وانكار المعاد والبعث
بعد الموت ولذلك اتفق العارفون باقوالهم انهم اكفر من اليهود والنصارى والمشركون
ومن اكبر العجب اغترار كثير ممن ينتسب الى الاسلام بهذا المذهب الخبيث وتعظيمهم
لاهل هذا المذهب حتى ادخلوه فى كتبهم واعتبروه فى مباحثهم ونسبوه للتحقيق
فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحقيقة مذهبهم ان جميع العالم العلوى والسفلى
شئ واحد متحد بعضه ببعض وان تباينت اجزاؤه وتفرقت احواله فما ثم خالق
ولا مخلوق ولا رب ولا مربوب ولا واجب الوجود وممكن الوجود بل الخالق نفس
المخلوق والرب نفس المربوب والعبد نفس المعبود وجعلوا لله كل صفة ممدوحة ومذمومة
اذ كان هو الممدوح المذموم تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فانهم اعظم الملحدين فى اسماء

الله

وصفاته والمشركون اقل شركا منهم لانهم خصصوا معبوداتهم من الاصنام والاوثان
باسماء الله وهؤلاء الملاحدة اعطوا جميع الموجودات اسماء الله واوصافه اذ كان اصل
مذهبهم ان الله هو عين هذه الموجودات قالوا وانما كفرنا المشركين لانهم خصصوا الالهية
ببعض المخلوقات ولو عمموا وجعلوا كل موجود الها ما اشركوا ولا كفروا فتبا لهم ما اضلهم
واعماهم حيث انكروا وجود واجب الوجود الرب العظيم الملك الكبير واشتبه عليهم
بوجود هذه المخلوقات الممكنات التي ليس لها من نفسها الا العدم علة الوجود وعدم الكمال
وهذا القول يكفي في رده مجرد تصوره فان فساده معلوم بضرورة العقل والشرع
والمقصود ان هؤلاء الملاحدة من الذين الحدوا في اسماء الله وجعلوها لسائر المخلوقات
كما خصها المشركون ببعض المخلوقات

والملحد الثاني فذو التعطيل اذ * ينفي حقائقها بلا برهان
ما ثم غير الاسم اوله بما * ينفي الحقيقة نفي ذي بطلان

هذا القسم الثاني من الملحدين في اسماء الله وهم المعطلة لاسماء الله النافين لحقائقها
ومعانيها بلا برهان ولا حجة الا اهوية واراء فاسدة لا تسمن ولا تغني من جوع فلا
فلا يثبتون لله الاسماء مجردة عن المعاني فيقولون عليم بلا علم سميع بلا سمع بصير بلا
بصر قدير بلا قدرة وان اثبتوا لها معنى اولوها بالمعاني المجازية التي يعلم بالضرورة

انها الله ورسوله لم يريدوها بل اراد غيرها ويدخل في هؤلاء الجهمية والمعتزلة
والاشعرية والماتريدية في الصفات الفعلية الخبرية فان مسلكهم فيها كمسلك
الجهمية في الصفات الذاتية قال في البدائع ورابعها تعطيل الاسماء عن
معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية واتباعهم انها الفاظ مجردة
لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم
والمتكلم والمريد يقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا ارادة يقوم به
وهذا من اعظم الالحاد فيها عقلا ولغة وشرعا وفطرة وهو مقابل الحاد المشركين
فان اولئك اعطوا اسمائه لآلهتهم وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها
فكلاهما ملحد في اسمائه ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الالحاد منهم الغالي
والمتوسط والمنكوب وكل من جحد شيئا مما وصف الله به نفسه او وصفه به
رسوله فقد الحد في ذلك فليستقل اوليستكثر انتهى وقوله

فالقصد دفع النص عن معنى الحقيـ * ـقة فاجتهد فيه بلفظ بيان
عطل وحرف ثم اول وانفها * واقذف بتجسيم وبالكفران
للمثبتين حقائق الاسماء والـ * ـصفات بالاخبار والقرآن
فاذا هم احتجوا عليك فقل لهم * هذا مجاز وهو وضع ثان

فاذا غلبت عن المجاز فقل لهم * لايستفاد حقيقة الايقان

انى وتلك ادلة لفظية * عزلت عن الايقان منذ زمان

يعنى ان القصد من هذا المعطل الملحد دفع نص الكتاب والسنة الوارد فى صفات
الله ونعوته فهو مجتهد بدفعه غاية ما يمكنه بكل ما يقدر عليه فيتوسلون
الى هذا المقصد الباطل بتعطيل المعانى الصحيحة وتحريفها اى تقويجها الى معان
باطلة فينفى المعنى الحق ويثبت المعنى الباطل ثم ما يكفيهم هذا حتى يقذفوا الحق
المبتين حقائق اسماء الله وصفاته على ما جاءت به النصوص بالتجسيم والتكفير
ليتفرد امن قولهم ويقبحوه بما وصفوا لهم من الاسماء الباطلة ويسمون انفسهم
اهل الحق ومقالتهم هى التنزيه قبحا للحقائق كما قال تعالى يوحى بعضهم الى بعض
زخرف القول غرورا فاذا هم ناظروا اهل السنة والجماعة عرفوا ان نصوص الكتاب
والسنة مع اهل السنة فيوحى بعضهم الى بعض فيقولون اذا احتجوا عليكم
فقولوا لهم هذا مجاز والمجاز وهو ما وضع ثانيا وليس المراد به ما يفهم منه فاذا
قد تمكنوا من هذا صالوا به وجالوا فاذا غلبوا عن المجاز واتاهم من الحقائق ما
لاقبل لهم به ولا يمكن دعوى المجاز به كما جلى فى نصوص الاسماء والصفات لجئوا
الى قاعدة لهم خبيثة باطلة وهى ان النصوص ادلة لفظية لاتفيد الحق واليقين

وانما

وانما تفيد غلبة الظن وبزعمهم ان الذى يفيد اليقين هو ارأوهم الفاسدة وعقولهم
الضالة فاذا اتت النصوص مخالفة لما استقر فى نفوسهم رأوا من اللازم صرفها عن المراد
بها موافقة لما تقيدونه وقد غلطوا فى هذا اكبر الغلط وافحشه فان نصوص
الكتاب والسنة فى اعلى رتب الحق واليقين وهى ارفع انواع الصدق فانها كلام الله
الذى لا اصدق منه قيلا ولا احسن منه حديثا وكلام الصادق المصدوق الذى لا
ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ومع ذلك فقد ايد الله رسوله ما اخبر به من
الحق بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة التى لا تبقى فى قلب مريد الهدى والحق
ادنى ريب وغاية ما يوجد عند المتكلمين من المعقولات والبراهين جزئى يسير مما اشتمل
عليه كتاب الله وسنة رسوله بل لا يمكن ان يوجد فى الكتاب والسنة مسألة
واحدة مخالفة لما يعلمه العقلاء اهل البصائر الناقدة بل ادلة المعقول موافقة لادلة
المنقول فكيف يقول القائل انها ادلة لفظية لاتفيد اليقين سبحانك هذا بهتان
عظيم يلزم منه ابطال اخباره واوامره ونواهيه والكفر برب العالمين رأسا فانه
لا يشاء متؤل ان يتاول اذا فتحت لهم هذه القاعدة الشنعاء والمقالة التى لم
يسبق المتكلمين بها احد من رسل الله ولا من اصحابه والتابعين لهم باحسان ثم
ان للمتكلمين اصلا اخر اليه يفزعون عند تزاحم النصوص عليهم وبه يتحصنون

عن أدلة الكتاب والسنة ذكره بقوله

فاذا تضافرت الادلة كثرة ... وغلبت عن تقريرذا بيان

فعليك حينئذ بقانون وضعـ ... ـناه لدفع ادلة القرآن

ولكل نص ليس يقبل ان يؤ ... ـل بالمجاز ولا بغير ثان

قل عارض المنقول للمعقول وما ... الامران عند العقل يتفقان

ماثم الا واحد من اربع ... متقابلات كلها بوزان

اعمال ذين اوعكسه اوتلغي الم ... ـعقول ماهذا بذي امكان

العقل اصل النقل وهو ابوه ان ... تبطله يبطل اصله التحتان

فتعين الاعمال للمعقول والا ... لغاء للمنقول بالقانون ذي البرهان

اعماله يفضي الى الفائه ... فاهجره هجر الترك والنسيان

يعني ان المتكلمين يصولون بهذا القانون الباطل على دفع ادلة الكتاب والسنة وحاصل تقريره انهم يقولون اذا تعارض العقل والنقل فلابد من واحد من اربعة امور اما ان يعمل الكلاهما او يلغيا او يعمل النقل ويلغي العقل او يعمل العقل ويلغي النقل وعندهم ان الاقسام الثلاثة الاول غير ممكنة وانه يتعين القسم الرابع وهو اعمال المعقول والغاء المنقول وذلك ان اعمالهما مع التعارض غير ممكن

فانهما

فانهما لو اعملا والحالة هذه لم يكن تعارض والغاؤهما ايضا غير ممكن لانه يلزم منه ابطال العقل والنقل واعمال النقل مع الغاء العقل غير ممكن على زعمهم لان اعمال النقل يقتضي الغائه فان النقل لم يعرف الا بالعقل فهو الطريق لثبوته على زعمهم فاذا قدحنا في الاصل الذي هو العقل لزم القدح فيما يتفرع عنه وهو النقل فتعين حينئذ اعمال العقل والغاء النقل بهذا القانون الفاسد ووجب ان توزن به نصوص الكتاب والسنة وهذا التقسيم الذي حصروه بهذه القانون والحكم الذي حكموا به باطلان عقلا وشرعا وقد تصدى لابطاله الامام الكبير شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتابه العقل والنقل فقال لما ذكر تقسيمهم هذا والمقصود هنا على قول القائل اذا تعارضت الادلة السمعية والعقلية الى اخره والكلام على هذه الجملة مبني على بيان ما في مقدمتها على التلبيس فانها مبنية على مقدمات اولها ثبوت تعارضها والثانية انحصار التقسيم فيما ذكره من الاقسام الاربعة والثالثة بطلان الاقسام الثلاثة والمقدمات الثلاثة باطلة وبيان ذلك بتقديم اصل وهو ان يقال اذا قيل تعارض دليلان سواء كانا سمعيين او عقليين او احدهما سمعيا والآخر عقليا فالواجب ان يقال

لايخلو اما ان يكونا قطعيين او يكونا ظنيين واما ان يكون احدهما قطعيا والآخر
ظنيا فاما القطعيان فلا يجوز تعارضهما سواء كانا عقليين او سمعيين او احدهما
عقليا والآخر سمعيا وهذا متفق عليه بين العقلاء لان الدليل القطعي هو الذي
يجب ثبوت مدلوله ولا يمكن ان تكون دلالته باطلة وحينئذ فلو تعارض
دليلان قطعيان واحدهما يناقض مدلول الآخر للزوم الجمع بين النقيضين وهو
محال بل كلما يعتقد تعارضه من الدلائل التي يعتقد انها قطعية فلا بد ان يكون
الدليلان او احدهما غير قطعي او لا يكون مدلولاهما متناقضين فاما مع تناقض
المدلولين المعلومين فيمتنع تعارض الدليلين وان كان احد الدليلين المتعارضين
قطعيا دون الآخر فانه يجب تقديمه باتفاق العقلاء سواء كان هو السمعي
او العقلي فان الظن لا يدفع اليقين واما ان كانا جميعا ظنيين فانه يصار
الى ترجيح احدهما فايهما ترجح كان هو المقدم سواء كان سمعيا او عقليا ثم
اطال الكلام بما يشفي ويكفي رحمه الله تعالى ولما كان كلام المؤلف عن المتكلمين
يذكر هذا القانون يوهم نوع مبالغة دفع هذا الوهم بقوله

والله لو نكذب عليهم انتا * وهم لدى الرحمن مجتمعان
وهناك يجزي الملحدون ومن نفى * الالحاد يجزي ثم بالغفران

ولعله

ولعله اخذه من قوله تعالى وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا
يعملون فالملحدون يجزون بالعقاب الوبيل والمثبتون لله الاسماء والصفات
النافين الالحاد الملحدين يجزون هناك بالعفو والغفران والخلود في الجنة ونيل
اعلى الكرامات

فاصبر قليلا انما هي ساعة * يا مثبت الاوصاف للرحمن
فلسوف تجني اجر صبرك حين يجـ * ـنى الغير وزر الاثم والعدوان
فالله سائلنا وسائلهم عن الا * ثبات والتعطيل بعد زمان
فاعد حينئذ جوابا كافيا * عند السؤال يكون ذا تبيان

يرغب رحمه الله المثبت لصفات الله على صبره على ذلك ولو كثر المخالفون وري
منهم المعارضة والمعاكسة فان الصبر عاقبته حميدة خصوصا في المحن التي
ستنقطع وربما اعقبها في الدنيا السعادة والفلاح والعز والصلاح فان
الدنيا كلها قليل وعمر الانسان منها اقل القليل واوقات الابتلاء والامتحان
نزر يسير بالنسبة الى عمره ووقته فالله سائل العباد عما كانوا عليه
في الدنيا فمن كان جوابه ان يقول قد قلت يا رب ما قلته في كتابك وقال
رسولك محمد صلى الله عليه وسلم فهذا الجواب المنجي ومن كان جوابه ان يقول قلت

تقديم العقول الكاسدة والاراء الفاسدة على ما قاله الله وقاله رسوله لم يكن
ذلك منجيا له من العقاب ولا موصلا له الى الثواب فان الله لا يسأل العباد الا عما
جاءت به المرسلون اقرارا وعلما وعملا

هذا وثالثهم فنافيها ونافي * ما تدل عليه بالبهتان

ذا جاحد الرحمن حقا المريد * ربخالق ابدا ولا رحمن

يعني ان الملحد الثالث هو النافي لاسماء الله ونافي ما تدل عليه من صفات الكمال
بالبهتان والقول الباطل وهذا اعظم انواع الالحاد فانه متضمن لجحد الخالق وجحد
ربوبيته واوصافه المقدسة وذلك كفرعون ونحوه وكالفلاسفة الذين يشتمل
قولهم على جحد رب العالمين

هذا هو الالحاد فاحذره لا * سل الله ينجيك من نيران

وتفوز بالزلفى لديه وجنة الـ * ـمأوى مع الغفران والرضوان

هذا اى جميع ما تقدم من الاقسام هو الالحاد بينه المصنف لاجل ان يحذر منه
فانه موجب لدخول النار والحذر منه موجب للنجاة منها والفوز بالزلفى عند الله
في جنات النعيم ونيل المغفرة من الرب الكريم فان العبد اذا نجى من الالحاد في اسماء
الله وآياته كان متبعا لكتب الله ولما جاءت به الرسل وهذا الطريق الموصل

الى

الى السعادة الابدية واذا فاته هذا الطريق فما ثم الا طريق الجحيم ولما كان اكثر
الناس قد سلكوا طرق المهالك واقتطعتهم الشياطين عن سعادتهم الا النادر
منهم وكانت النفس مجبولة على وحشة التفرد وعدم الرفيق حث المصنف رحمه
الله على لزوم الاستقامة وان قل الموافق وكثر المخالف فقال

لا توحشنك غربة بين الورى * فالناس كالاموات في الحيوان

او ما علمت بان اهل السنة الـ * ـغرباء حقا عند كل زمان

قل لي متى سلم الرسول وصحبه * والتابعون لهم على الاحسان

من جاهل ومعاند ومنافق * ومحارب بالبغي والطغيان

وتظن انك وارث لهم وما * ذقت الاذى في طاعة الرحمن

كلا ولا جاهدت حق جهاده * في الله لا بيد ولا بلسان

منتك والله المحال النفس فاسـ * ـتحدث سوى ذا الرأي والحسبان

لو كنت وارثه لاذاك الاولى * ورثوا عداوته لسائر الاكوان

وكل هذا حكمة الله تعالى حيث جعل لاهل الحق من يعارضهم ويقاومهم ويحرص
على اذيتهم ورد ما معهم باى طريق ليقوم بذلك سبيل الجهاد وليتبين الحق من
الباطل فان الحق اذا عارضه الباطل واهله ظهر من ادلته وبراهينه ما يبهر

العقول ووضح واستعلن وتبين من بطلان الباطل وفساده مايه العبرة لمن
اعتبر وليحصل بذلك التميز بين الصادق من الكاذب فان المؤمن الصادق والمتبع
للحق على الحقيقة لاتزيده المعارضات الا ثباتا على ما هو عليه ويزداد ايمانه و
يكمل ايقانه بخلاف من لم يباشر الايمان قلبه ولم يصل اليقين في حقه الى مرتبة
الجزم الذي لاشك فيه فهذا لايكاد يثبت عند المحن والقلاقل فانه ممن يعبد
الله على حرف فمع العافية المستمرة ربما لزم ما هو عليه ومن لطف الله في حق
هذا ان لايقيض له من المحن ما يزيل ايمانه بل يعافيه والا فسنة الله الجارية التي
لاتغير ولاتبدل انه لابد من الابتلاء كما قال تعالى الم احسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا امنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين
صدقوا وليعلمن الكاذبين فلو سلم احد من المعارضين من المعاندين والمحاربين
لسلم الرسول واصحابه والتابعون لهم باحسان فمن ظن انه متبع لهم على
الحقيقة وانه سيسلم من الاذى في سبيل الله فهو غالط فانه لابد ان يكون
للرسول واصحابه وراث ولاعدائهم وراث ويقوم سوق الجهاد فان الدنيا
دار مجاهدة وعبادة لامحل طمانينة واستقرار فان الراحة التامة في جنات
النعيم ومن المعلوم ان الراحة لاتدرك بالراحة بل لابد من التعب والفناء

ولكن

ولكن قد يهون الله على عباده المؤمنين فيجدون من لذة المجاهدة في طاعة ربهم اعظم
مما يجدون اهل الشهوات الحسية وهذا هو الواقع ولكن مرارة الابتداء تمنع اكثر
الناس عن هذا الامر العظيم ليقضي الله امرا كان مفعولا والله اعلم

فصل

في النوع الثاني من نوعي توحيد الانبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركين

وهذا النوع هو زبدة رسالة الله لمرسله فانه كل نبي يبعثه الله تعالى يدعو قومه الى
عبادة وحده وترك عبادة ماسواه فكل نبي يقول لقومه اعبدوا الله مالكم من اله
غيره افلا تتقون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت وهو الذي خلق الله الخلق لاجله وامرهم به على السنة رسله وشرع الجهاد
لاقامته وجعل الثواب في الدنيا والاخرة لمن قام به والعقاب في الدنيا والاخرة لمن تركه
وبه الفرق بين اهل السعادة واهل الشقاء وعلى العبد ان يبذل جهده في معرفته وتحقيقه
من كل وجه فيعرف حده وتفسيره ويعرف حكمه ومرتبته ويعرف اثاره ومقتضياته
ويعرف شواهده وادلته وبراهينه وحججه التي تؤيده وتنميه وتقويه
ويعرف شروطه ومكملاته ويعرف نواقضه ومفسداته لانه كالاصل الاصيل
الذي لاتصح الاصول الا به فكيف بالفروع فاما حده وتفسيره واركانه ومكملاته

فقد ذكرها المصنف في ضمن قوله

هذا وثاني نوعي التوحيد تو * حيد العبادة منك للرحمن

ان لا تكون لغيره عبدا ولا * تعبد بغير شريعة الايمان

فتقوم بالاسلام والايمان و * الاحسان في سر وفي اعلان

والصدق والاخلاص ركنا ذلك ال * توحيد كالركنين للبنيان

فحده ان يعلم العبد ان الله هو المالوه المعبود على الحقيقة فيفرده بانواع العبادة

كلها الظاهرة والباطنة يعني انه يقوم بالاسلام كالصلاة والزكاة والصيام

والحج من الاعمال الظاهرة وبالايمان كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله

واليوم الاخر والتزام القيام بما اوجب الله وترك ما حرم الله وبالاحسان

كالقيام بحقائق العلم والايمان والاعمال الصالحة وهي روحها ولبها المقصود

فيقوم بذلك كله خالصا لوجه الله تعالى متابعا فيه سنة رسوله محمد

صلى الله عليه وسلم وهذان الركنان الاخلاص للمعبود والمتابعة

للرسول ركنان وان شئت قلت شرطان لكل عبادة ظاهرة وباطنة فكل

عبادة خلت منهما او من احدهما فهي باطلة غير معتد بها قال تعالى وما امروا

الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى الا لله الدين الخالص وقال

تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا قال الفضل بن عياض رحمه الله تعالى

اخلصه واصوبه قالوا وما اخلصه واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم

يكن صوابا لم يقبل وواذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل فالخالص ان يكون لله

والصواب ان يكون على السنة قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه

البخاري ومسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية لمسلم

من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وحقيقة هذا التوحيد انه يسمى توحيد

الالهية بالنسبة الى وصف الله المقتضي لان يكون المحبوب المالوه المعظم

المعبود وحده ويسمى توحيد العبادة بالنسبة الى وصف العبد الذي اخلص جميع

انواع العبادة التي شرعها الله ورسوله لله تعالى فالالهية وصف الله تعالى

والعبودية وصف العبد ولهذا جمع الله بين الامرين في قوله لموسى انني انا الله لا اله الا

انا فاعبدني وفي قوله وان الله ربي وربكم فاعبدوه وقول الرسل لامهم ان اعبدوا

الله ما لكم من اله غيره واذا علمنا ان هذا حده وتفسيره فمن المعلوم ان الداخلين في

هذا الاسم متفاوتون تفاوتا عظيما وانه بحسب قيام العبد بالاسلام والايمان

والاحسان والاعمال الصالحة علما وعملا وحالا تكون مرتبة العبد في التوحيد

وكماله فيه والاجر والثواب في الدنيا والاخرة على هذا الاصل فانه من اثار التوحيد

وثمراته كما انه كل شر في الدنيا فمن اثار ترك التوحيد ثم فسر المؤلف الاخلاص والمتابعة

فقال

وحقيقة الاخلاص توحيد المرا ❊ د فلا يزاحمه مراد شان

لكن مراد العبد يبقى واحدا ❊ ما فيه تعريف له من الانسان

يعني ان الاخلاص حقيقة ان يوحد العبد مراده ومقصوده فتكون نيته وارادته

متعلقة بالله وحده لا شريك له فلا يكون لهذا المراد مزاحم يزاحمه من

الاغراض النفسية بل يكون وصف العبد الاخلاص لله على الدوام ويقوم عا يقوبه

من الاعمال مستحضرا لهذا المعنى الشريف خاليا من الرياء والمقاصد المخالفة لهذا

المقصود وبهذا يكون العمل صالحا مقبولا مثمرا للثواب ولهذا قال النبي صلى الله عليه

وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله

فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته

الى ما هاجر اليه متفق عليه فتفاوت بين العملين وصورتهما واحدة بحسب تفاوت

النية والمقصود وكذلك لما سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل

ليرى مكانه اي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في

سبيل الله متفق عليه فعلى العبد ان يجاهد نفسه على الدوام في كل فرد من افراد

العبودية على ان يقصد به وجه الله وحده لا شريك له ويجتهد في دفع الخواطر

المنافية لذلك ليكون الاخلاص له وصفا وخلقا وهو روح التوحيد والاعمال

الصالحة وتمام ذلك ان يراعي متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع اقواله

وافعاله الظاهرة والخفية وذلك تحقيق شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول

الله فينفي الالهية عما سوى الله تعالى ويثبتها لله وحده ويتحقق بمعناها و

يصدق الرسول في خبره ويطيعه في امره ثم ذكر انموذجا من الادلة الدالة على

التوحيد والعبادة فقال

ان كان ربك واحدا سبحانه ❊ فاخصصه بالتوحيد مع احسان

او كان ربك واحدا انشاك لم ❊ يشركه اذ انشاك رب ثان

فكذاك ايضا وحده فاعبده لا ❊ تقيد سواه يا اخا العرفان

يعني اذا كنت مقرا بان ربك واحد فهو الخالق الرازق المربي لك ولسائر المخلوقات

فخصصه بالتوحيد والاعمال الصالحة فاذا علمت انه الذي انشاك وحده من غير

مشارك له ولا معاون فكذلك اعبده وحده لا تعبد غيره ممن لم يكن كذلك وهذا

الدليل وهو الاستدلال بالتوحيد الربوبية على صحة توحيد العبادة كثيرا ما يذكره

الله في كتابه ويستدل به على المشركين الذين ينكرون توحيد الالوهية فيلزمهم

باقوالهم بتوحيد الربوبية على ما انكروه من توحيد الالهية كما قال تعالى قل من يرزقكم
من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون وقال تعالى قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل
شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون
الى غير ذلك من الايات وهذا دليل واضح جدا ينتقل الذهن منه الى المدلول
باول وهلة فانه اذا كان من المعلوم المتقرر عند كل احد حتى المشركين بالله ان الله
هو الخالق وحده المدبر لجميع الامور وكلما سواه مخلوق مدبّر فان العقل والفطر
يجزمان بتعين عبادة الله وحده وانه المستحق للعبادة دون من سواه ممن لا يملك
نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا نشورا ولا له من الكمال ما يقتضى ان يعبد لاجله

﴿ واعلم ﴾

ان ادلة التوحيد كثيرة جدا يعسر عد انواعها فضلا عن افرادها ولكن
سننقل هنا عبارتنا في التفسير على قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك الاية قلت العلم لابد فيه من اقرار القلب ومعرفته بمعنى ما طلب

منه علمه وتمامه العمل بمقتضاه وهذا العلم الذى امر الله به وهو العلم بتوحيد
الله فرض عين على كل انسان لا يسقط عن احد معه عقله كائنا من كان بل كل
مضطر الى ذلك والطريق الى العلم بانه لا اله الا الله امور احدها بل اعظمها
تدبر اسمائه وصفاته وافعاله الدالة على كماله وعظمته وجلاله فانها
توجب بذل الجهد في التاله والتعبد للرب الكامل الذى له كل حمد ومجد
وجلال وجمال الثانى العلم بانه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير فيعلم
بذلك انه المنفرد بالالوهية الثالث العلم بانه المنفرد بالنعم الظاهرة
والباطنة الدينية والدنيوية فان ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته
والتأله له وحده لا شريك له الرابع ما نراه ونسمعه من الثواب لاوليائه
القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة ومن عقوبته لاعدائه المشركين
به فان هذا داع الى العلم بانه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها الخامس معرفة
اوصاف الاوثان والانداد التى عبدت مع الله واتخذت الهة وانها ناقصة
من جميع الوجوه فقيرة بالذات لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا ولا
حياة ولا نشورا ولا ينصرون من عبدهم ولا ينفعونهم بمثقال ذرة من جلب
خيرا ودفع شر فان معرفة ذلك والعلم به يوجب العلم بانه لا اله الا الله وبطلان

الهية ماسواه السادس اتفاق كتب الله على ذلك وتواطؤها عليه
السابع ان خواص الخلق الذين هم اكمل الخليقة اخلاقا وعقولا ورايا وصوابا
وعلما وهم الرسل والانبياء والعلماء الربانيون قد شهدوا الله بذلك الثامن
ما اقامه الله من الادلة الافقية والنفسية التي تدل على التوحيد اعظم دلالة
وتنادي عليه بلسان حالها من لطائف صنعته وبدائع حكمته وغرائب
خلقه فهذه الطرق التي اكثر الله من دعوة الخلق بها الى انه لا اله الا هو
وابداها في كتابه واعادها عند تأمل العبد في بعضها لابد ان يكون عنده يقين
وعلم بذلك فكيف اذا اجتمعت وتواطأت واتفقت وقامت براهين التوحيد
من كل جانب فهناك يرسخ الايمان والعلم في قلب العبد بحيث يكون اعظم
من الجبال الرواسي لا تزلزله الشبه والخيالات ولا يزداد على تكرر الباطل والشبه
الا نموا وكمالا هذا وان نظرت الى الدليل العظيم والكلام الكبير وهو تدبر هذا القرآن
العظيم والتأمل في اياته فانه الباب الاعظم الى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله
وجمله ما لا يحصل بغيره الى اخر ما ذكرته على تلك الاية الكريمة وهذه المذكورات
اجناس وانواع للادلة لو فصلت وبسطت لبلغت شيئا كثيرا قال
المصنف في مدارج السالكين ما ذكر توحيد للمبطلين وشرحه

فصل

واما التوحيد الذي دعت اليه رسل الله ونزلت به كتبه فوراء ذلك كله
وهو نوعان توحيد في المعرفة والاثبات وتوحيد في الطلب والقصد فالاول
هو اثبات حقيقة ذات الرب تعالى واسمائه وصفاته وافعاله وعلوه فوق سمواته
على عرشه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده واثبات عموم قضائه
وقدره وحكمه وقد افصح القرآن عن هذا النوع حد الافصاح كما في أول
الحديد وسورة طه وآخر سورة الحشر واول تنزيل السجدة وأول آل
عمران وسورة الاخلاص بكمالها وغير ذلك النوع الثاني مثل ما تضمنه قل
يا ايها الكافرون وقوله قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم الآية واول سورة تنزيل الكتاب وآخرها واول سورة يونس
ووسطها وآخرها واول سورة الاعراف واخرها وجملة سورة الانعام
وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد بل
نقول قولا كليا ان كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية
اليه فان القرآن اما خبر عن الله واسمائه وصفاته وافعاله فهو التوحيد
العلمي الخبري واما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من

دونه فهو التوحيد الطلبي الارادي واما امر ونهي والزام بطاعته ونهيه وأمره
فهو من حقوق التوحيد ومكملاته واما خبر عن كرامة الله لاهل توحيده وطاعته
وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الاخرة فهو جزاء توحيده واما خبر عن
اهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عن
حكم من خرج عن التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شان الشرك
واهله وجزائهم فالحمد لله توحيد رب العالمين توحيد الرحمن الرحيم توحيد
مالك يوم الدين توحيد اياك نعبد واياك نستعين توحيد اهدنا الصراط المستقيم
توحيد متضمن لسؤال الهداية الى طريق اهل التوحيد الذين انعم الله عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين الذين فارقوا التوحيد ثم اطال الكلام في هذا الموضع
بما لا يشفي المؤمن عنه

والصدق توحيد الارادة وهو بذل الجهد لا كسلا ولا متوان
والسنة المثلى لسالكها فتو حيد الطريق لاعظم السلطان
فلو احدكن واحدا في واحد اعني سبيل الحق والايمان

يعني ان التوحيد لا يتم الا بثلاثة امور توحيد المراد وهو الاخلاص كما تقدم
وتوحيد الارادة وهي الا تكون الارادة منقسمة بان يبذل العبد جهده ومقدوره في
القيام

القيام بما امر الله به علما وعملا ووصفا من غير كسل ولا توان ولا انحلال
عزيمة فهذا حقيقة الصدق وتوحيد الطريق هو اتباع السنة ظاهرا
وباطنا ثم اجمل الثلاثة في قوله فلو احدا اي لله وحده وهو الاخلاص كن
واحدا اي مجتمع الارادة والقصد والعمل وهو الصدق في واحد وهي المتابعة
فسره بقوله اعني سبيل الحق والايمان اي وما سواهما من الطرق فانها طرق
الغي والضلال والكفر والوبال

هذي ثلاث مسعدات للذي * قد نالها والفضل للمنان
فاذا هي اجتمعت لنفس حرة * بلغت من العلياء كل مكان

يعني ان من اجتمعت له هذه الامور الثلاثة بان يكون الاخلاص خلقه و
وصفه واعماله مقرونة به والصدق والاجتهاد قرينه وحاملة واتباع
الرسول طريقه فهو السابق حقا المستولي على الغاية التي لا غاية فوقها والكمال
الذي لا كمال فوقه وحصلت له السعادة والفلاح والفوز والارباح فان تخلف
كمال العبد وحرمانه مداره على فقد واحد من هذه الثلاثة او اثنين او كلها

لله قلب شام هاتيك البروق * من لخيام فهم بالطيران
لولا التعلل بالرجاء تصدعت * اعشاره كتصدع الحيران

وتراه يبسطه الرجاء فينثني ✻ متمايلا كتمايل النشوان
ويعوده يقبضه الاياس لكونه ✻ متخلفا عن رفقة الاحسان
فتراه بين القبض والبسط اللذا ✻ ن هما لافق سمائه قطبان
وبدا له سعد السعود فصار مس ✻ راه عليه لا على الدبران
لله ذياك الفريق فانهم ✻ خصوا بخالصة من الرحمن
شدت ركائبهم الى معبودهم ✻ ورسوله يا خيبة الكسلان

يتعجب المؤلف رحمه الله تعالى ويستعظم من قلب منّ الله عليه بالتحقق بالصدق والاخلاص والمتابعة حتى صارت له نعتا وصارت رغبته كلها في مراضي ربه في كل وقت فكلما بدا له منزلة من منازل السائرين وخصلة من خصال العاملين بادر اليها سوقا ومحبة وانقادا لها طوعا واختيارا بمنزلة من طالع البروق من خيام الاحبة على بعد فصار قلبه يناديه حتى يكاد يهم ان يطير الى احبابه و يتمتع بلقائهم الذي هو الذ للمحبين واعز عليهم من ارواحهم فلولا ان المحب يتعلل بقرب اللقاء ويحدث نفسه باجتماعه باحبته لتصدعت اعشار قلبه اي جوانبه كتصدع الحيران الذي حيره الحب وذهب بشعوره كذلك المحب لله تعالى يجهد نفسه في مراضيه حتى تنمو محبة الله في قلبه ويحدث

له الشوق والقلق فلولا انه يلاطف نفسه برجاء اللقاء لذابت نفسه واحترق لبه ثم اذا نظر الى نفسه وتقصيره وتخلفه عن رفقة السابقين قبضه الياس فتجده بين الخوف والرجاء اللذين هما لعباداته واعماله كالقطبين في النجوم فالعبادات كلها تدور على الخوف والرجاء فيرجو العبد قبولها ويقربها الى ربه ويخاف من ردها وعدم القيام بها وبحقوقها ان نظر الى رحمة الله ولطفه انفتح له باب الرجاء والطمع واذا نظر الى تقصيره وما يستحقه الله من العبودية التي لا يمكن العبد القيام بها احدث له القبض وباعتدال الخوف والرجاء يعتدل سير العبد فاذا رجح جانب الرجا خيف الامن من مكر الله وحصل الادلال والشطح الذي لا يليق بالمخلوق وان رجح جانب الخوف خيف منه اليأس والقنوط من رحمة الله وهذه المراتب الثلاث للمحبة والخوف والرجاء اصل اعمال القلوب وبها تستقيم الاعمال الظاهرة والباطنة كما جمعها الله في قوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وقول المصنف وبدا له سعد السعود البيت يحتمل ان مراده بهذا التشبيه هذا الفريق لما كان مصاحبا للخوف والرجاء وكانت روحه المحبة كان سيره محمودا مآله الى العز والفلاح والفلوح وحصول الارباح بخلاف من كان سيره سير البطالين اهل الكسل فان سيرهم الى وراء قال

تعالى لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر ويحتمل انه اراد بسعد السعود
السير على متابعة الرسول والاقتداء بهديه وتجنب السير على الدبران كالسير
خلف كل من خالف الرسول وقوله لله ذياك الفريق اى الموصوف بتلك
الصفات الحميدة وهذا التصغير المراد به التعظيم والتعجب من حسن حالهم وعلو
قدرهم ولهذا قال فانهم خصوا بخالصة من الرحمن اى اخلصهم الله من كل
كدر واختصهم بولايته قال تعالى عن خيار انبيائه انا اخلصناهم بخالصة ذكرى
الدار اى جعلنا ذكر الدار الاخرة فى قلوبهم والعمل لها صفوة وقتهم والاخلاص و
المراقبة لله وصفهم الدائم وجعلناهم ذكرى الدار يتذكر باحوالهم المتذكر
ويعتبر بهم المعتبر ويذكرون باحسن الذكر وقوله شدت ركابهم الى معبودهم
هذا هو الاخلاص ورسوله بالمتابعة يا خيبة الكسلان الذى تخلف عن فريقهم
ولم يسلك مسلكهم وطريقهم

(فصل)

فى بيان ما ينافض هذا التوحيد من الشرك الاكبر والاصغر ووسائل ذلك

والشرك فاحذره فشركه ظاهر * ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أ * يا كان من شجر ومن انسان

يدعوه

يدعوه او يرجوه ثم يخافه * ويحبه كمحبة الرحمن

يعنى ان الشرك نوعان ظاهر وهو الشرك الاكبر المخرج من دائرة الاسلام
الى دائرة الكفران الذى لا يغفره الله ولا يدخل صاحبه الجنة بل هو من اصحاب
النار وحده اتخاذ الند للرحمن من الملائكة والرسل او الاولياء او الحيوانات
او الجمادات يتقرب اليه كما يتقرب الى الرحمن بالدعاء والخوف والرجاء والمحبة وسائر
انواع العبادة فحقيقته ان يصرف العبد نوعا من انواع العبادة لغير الله تعالى
وسواء سمى من تقرب اليه الها او لا قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان
له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقال تعالى ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا
وقال تعالى ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار الى غير
ذلك من الايات الدالات على كفر من عبد مع الله غيره وخلوده فى النار وأما
الشرك الاصغر فهى كل وسيلة قريبة موصلة الى الشرك الاكبر اذا لم تصل
الى رتبة العبادة كالحلف بغير الله والرياء والتصنع للمخلوق والقلوتى
الاموات ونحو ذلك فلا يتم للعبد التوحيد حتى يتبرأ من الشرك كله

ظاهره وباطنه ويخلص لله اعماله كلها وهذا التوحيد الذى هو عبادة
الله وحده وهو الذى انكره المشركون على رسول الله وقالوا اجعل الالهة الها
واحدا ان هذا لشئ عجاب وهم مقرون لله بتوحيد الربوبية وانه المالك
وماسواه مملوك ولهذا قال المصنف

والله ماساووهم بالله فى ... خلق ولا رزق ولا احسان
فالله عندهم هو الخلاق والـ ... ـرزاق مولى الفضل والاحسان
لكنهم ساووهم بالله فى ... حب وتعظيم وفى ايمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما ... جعلوا المحبة قط للرحمن
لو كان حبهم لأجل الله ما ... عادوا احبة على الايمان
ولما احبوا سخطه وتجنبوا ... محبوبه ومواقع الرضوان
شرط المحبة ان توافق من تحـ ... ـب على محبته بلا عصيان
فاذا ادعيت له المحبة مع خلا ... فك ما يحب فانت ذو بهتان
اتحب اعداء الحبيب وتدعى ... حباله ماذاك ذو امكان
وكذا تعادى جاهدا احبابه ... اين المحبة يا أخا الشيطان

يريد المؤلف رحمه الله تعالى قول الله تعالى عن اهل النار حين رأوا بطلان

عبادتها

عبادتها تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين اى انهم ماساووهم
بالله بالخلق والرزق والاحسان فان المشركين كما تقدم مقرون بان الله هو الخالق
الرازق المتفضل بالنعم الظاهرة والباطنة وانما ساووهم بالله فى الحب والتعظيم
والعبادة فاحبوهم مع الرحمن وشركوهم فيها كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله فهذا الحب مع الله الذى يقدح فى التوحيد
فلو كانت محبتهم لهم لله او لاجله لاحبوا ما يحبه الله من الاعمال والاشخاص فان
هذا علامة المحبة لله واما من زعم انه يحب الله ثم عادى اولياء الله وعادى
ما يحبه الله من الاعمال ووالى اعداء الله وما يبغضه من انواع المعاصى فهذا
كاذب فى دعواه فان شرط المحبة موافقة المحبوب فى محابه قال تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وكما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على
الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ومن صفات المحبين لله
انهم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين
فالمحبة ثلاثة انواع محبة الله وهى روح التوحيد واصل العبادات والقربات

تتمة

كلها ومحبة فى الله وهى محبته مما يحبه الله من انبيائه واوليائه والاعمال
المقربة الى الله وهذه من تمام محبة الله وبحسب قوة محبة الله تقوى
هذه المحبة ولهذا ورد فى الدعاء المشهور اللهم انى اسالك حبك
وحب من يحبك ويحب العمل الذى يقرب الى حبك والثالث المحبة
مع الله وهى محبة المشركين لالهتهم مع الله محبة عبودية وهذه
منافية للتوحيد من كل وجه وثم محبة طبيعية لا تحمد ولا تذم الا
لاثارها كمحبة الطعام والشراب ومحبة الالف والوطن ونحو ذلك

ليس العبادة غير توحيد المحبة مع خضوع القلب والاركان

يعنى ان حقيقة المحبة هى توحيد المحبة والذل والتعظيم لله تعالى
فان العبادة حب كامل وذل تام للمحبوب

والحب نفس وفاقه فيما يحب ✻ ب وبغض ما لا يرتضى بجنان
ووفاقه نفس اتباعك امره ✻ والقصد وجه الله ذى الاحسان
هذا هو الاحسان شرط فرقه ✻ ول السعى فافهمه من القران
والاتباع بدون شرط رسوله ✻ عين المحال وابطل البطلان
فاذا نبذت كتابه ورسوله ✻ وتبعت امر النفس والشيطان

وتخذت

وتخذت انداد اتحبهم كحب ✻ ب الله كنت مجانب الايمان

يريد رحمه الله ان المحبة فى الحقيقة نفس موافقة الله فى محبته وبغض ما
يبغضه وذلك يتحقق باتباع امر الله الذى شرعه الله على لسان رسوله محمد
صلى الله عليه وسلم فى اصول الدين وفروعه فى ظاهره وباطنه مع الاخلاص
لله تعالى وارادة وجهه الاعلى وهذه الموافقة المشتملة على المتابعة والاخلاص
هى الاحسان الذى قال الله فيه ليبلوكم ايكم احسن عملا اى اخلصه
واصوبه وفى قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وفى قوله انا لا نضيع
اجر من احسن عملا والمتابعة لا تمكن الا باتباع الرسول صلى الله
عليه وسلم فمن نبذ كتاب الله وسنة رسوله واتبع اوامر النفس الامارة
بالسوء والشيطان الذى لا يامر الا بالسوء والفحشاء واتخذ من دون الله انداد
يحبهم كحب الله خرج من الايمان من حيث يظن انه مؤمن فان اتخاذ الانداد من
دون الله مناقض لقول لا اله الا الله وان الخروج عن الاهتداء بالكتاب
والسنة مناقض لشهادة محمد رسول الله وما اكثر من هو بهذا الوصف
ممن ينتسب الى الايمان والتحقيق كما قال المصنف

ولقد رأينا من فريق يدعى الاتبا ✻ ع شركا ظاهرا للاتباع

جعلوا له شركا والوهم وسو ... وهم به في الحب لا السلطان

والله ما ساووهم بالله بل ... زادوا لهم حبا بلا كتمان

والله ما غضبوا اذا انتهكت محا ... رم الاله هم في السر والاعلان

حتى اذا ما قيل في الوثن الذي ... يدعونه ما فيه من نقصان

فاجارك الرحمن من غضب ومن ... حرب ومن شتم ومن عدوان

واجارك الرحمن من ضرب وتعـ ... ـزير ومن سب ومن سجان

والله لو عطلت كل صفاته ... ما قابلوك ببغض ذا العدوان

والله لو خالفت نص رسوله ... نصا صريحا واضح التبيان

وتبعت قول شيوخهم او غيرهم ... كنت المحقق صاحب العرفان

حتى اذا خالفت اراء الرجا ... ل لسنة المبعوث بالفرقان

نادوا عليك ببدعة وضلالة ... قالوا وفي تكفيره قولان

قالوا تنقصت الكبار وسائر الـ ... ـعلماء بل جاهرت بالبهتان

هذا ولم تسلبهم حقا لهم ... ليكون ذا كذب وذا عدوان

واذا سلبت صفاته وعلوه ... وكلامه جهرا بلا كتمان

لم يغضبوا بل كان ذاك لعبثهم ... عين الصواب وموجب الاحسنان

(والامر)

والامر والله العظيم يزيد فو ... ق الوصف لا يخفى على العميان

واذا ذكرت الله توحيدا رأيـ ... ـت وجوههم مكسوة الالوان

بل ينظرون اليك شزرا مثل ما ... نظر التيوس الى عصا الجوبان

واذا ذكرت بمدحة شركائهم ... يستبشرون تباشر الفرحان

والله ما شموا روايح دينه ... يا زكمة اعيت طبيب زمان

وهذه الابيات واضحة المعنى والامر كما قال المصنف عن هذا الفريق المنتسب للاسلام الذي يقتضي منهم دينهم تعظيم ربهم والقيام له بحق العبودية ولرسوله بحق الرسالة فعكسوا القضية فاتخذوا لهم اندادا من دون الله يعبدونها ويغضبون لها اعظم مما يغضبون لله والدليل على هذا انه لو انتهكت محارم الله لم يغضبوا واذا قيل فيما ينتحلونه من ذلك الوثن بعض ما فيه من النقص اشتد غضبهم ويتباشرون اذا مدحت شركائهم واذا ذكر توحيد الله تغيرت وجوههم واشمأزوا وكذلك جعلوا لهم رؤساء يطيعونهم في كل حال وجعلوهم بمنزلة الرسول المعصومة اقواله وافعاله فيقدمون طاعتهم على طاعة الرسول ومن خالفهم لقول الرسول رموه بانه متنقص لهم مبغض فهل بقي بعد هذا ايمان ولكن لكثرة الامساس

قل الاحساس فانا لله وانا اليه راجعون فنسألك اللهم
العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والاخرة وان تحفظ لنا ديننا من كل
شرك وشبهة وبدعة وضلالة ومعصية انك على كل شيء قدير
تم ما اردت تعليقه ولله الحمد والمنة والفضل والاحسان
وصلى الله على محمد وسلم تسليما كثيرا فرغت من
تسويده وانا الفقير الى الله تعالى
عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي
نقل من خطي وليس بعد خطي نسخة وقد قوبل
والحمد لله رب العالمين
باصلة قاله الشيخ عبد الرحمن بن ناصر ابن سعدي

م

مكة المكرمة في ٢٣ جمادى الثانية سنة ١٣٦٥ هـ